مسافر على باب الله

محيي إسماعيل

مسافر على باب الله

(رواية)

محيي إسماعيل: مسافر على بابه الله
(رواية)

الحضارة للنشر

٧ شارع أبو السعود – الدقى ١٢٣١١ – القاهرة
تليفون ٧٦١٩٤٣٩ – فاكس ٧٦٠٥٨٩٨

Al-Hadara Publishing
7 Abou El-Seoud Street
Dokki 12311, Cairo, Egypt

Tel.: (20-2) 761 94 39
(20-12) 316 48 67
Fax: (20-2) 760 58 98

E-mail: ask@alhadara.com
E-mail: hadara@idsc.net.eg
www.alhadara.com

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٠٦

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٧٣٠ /٢٠٠٥

I.S.B.N. 977-5429-48-x

إن قوة الحب أقوى من حب القوة



(١)

انتبهت فجأة على صوت الهاتف الذى أعلن عن وصـــول نهلـــة البردينى من أمريكا فى ١ يونيو ٢٠٠١ متجهة بالطائرة إلى القـــاهرة وأنها ستمكث ٧ أيام فقط لإنهاء بعض متعلقات لها ثم تعود لأمريكا فى ٨ يونيو ٢٠٠١. والمدهش فى الموضوع أننى أيضا أجهز نفسى للسفر إلى أمريكا وكنت قد حددت تاريخ سفرى ١٧ يونيو ٢٠٠١... ولكـــن بما أن حبيبة قلبى نهلة التى لم أرَهَا منذ سنين ستغادر القاهـــرة يـــوم ٨ يونيو فلقد حسمت الأمر مع نفسى بالسفر معها فى نفس اليوم وفـــى طائرة واحدة.

فى سبعة أيام أنهيت كل شىء لى فى القاهرة.

أخبرت أسرتى وأصدقائى بسفرى إلى أمريكا...

وكم كان لقائى مع نهلة صاعقا مدهشا فأنا لم أراها منذ ١٥ عاما عندما سافرَتْ مغتربة مهاجرة مع زوجها إلـــى أمريكـــا فـــى يوليـــو ١٩٨٦...

توجهت أنا ونهلة البردينى إلى مطار القاهرة قاصدين الطـــائرة النمساوية التى ستطير بنا فى الساعة الثانية ظهر اليوم... وبينما نحن نحتسى القهوة فى بوفيه المطار. رمقتنى امرأة حيزبون بنظرة فاحصة وهى تضحك وتقول: ما عرفتش؟ مش الطيارة حتتأخر ست ساعات... بيقولوا فيها تصليح. لم أصدق وسألت المسئول فأخبرنى بأن هنـــاك ٦ ساعات تأخيراً بالفعل... والمدهش فى الأمر أن هذه الحيزبون تتلقـــى صدمة تأخير الطائرة ضاحكة... يا سبحان الله... صحيح كل جسم وله

كيميا... تحدد له ردود أفعاله... لكن ما أدهشنى حقا امرأة أخرى فى الستين من عمرها اقتربت من أذنى هامسة: أقولك سر ما تعرفوش يا فنان يا جميل...

– قولى

– طب هات بوسه الأول عشان بحب تمثيلك وبعدين أقولك...

– وأدى بوسه...

– مش الطيارة النمساوية حتتأخر ست ساعات كمان... غير الست ساعات اللى عرفناهم...

– انتى بتهرجى...

– ليه شايفنى حاطة أزرق وأحمر وأخضر وباضربلك شقلباظ... وحياة شبابك حتتأخر ستة كمان...

– مين اللى قالك؟...

– هو فيه حاجة بتستخبَّى غيرك أنت يا واحشنا؟... فين أفلامك الحلوة؟... أنت بطلت تمثيل؟... بنشوفك كل سنتين مرة... يارب تتأخر ٦ ساعات كمان.

والأغرب من ذلك أنها سحبت كرسيا وجلست فى مواجهتى وبصحبتها الحيزبون الأولى التى فجَّرت لى الخبر... والآن أصبحت الحيزبونتان فى مواجهتى تضحكان وتُرقِّصان لى حواجبهما فى سعادة...

فنظرت لى "نونو" متسائلة:

– تعرفهم.

– عمرى ما شفتهم.

– أمال بيلعبولك حواجبهم ليه... أنكش فى دفاترك القديمة...

طفح الغيظ على وجهى فانتفضت لأسأل المسئول فقال لى مؤكدا تأخيرها قائلا كلهم ١٢ ساعة بس يا أستاذنا... ودى فرصة أن إحنـــا نشوفك... أنا باشكر الطيارة النمساوية اللى حتتأخر عشان نقعد معاك شوية...

قضينا الـــ ١٢ ساعة تأخيراً بين الأكل والنوم والجلـــوس فـــى استراحة المطار، ولما كنت أدرك أن حياتنا كلها انتظار قلت فى نفسى ملطفا... بناقص الـــ ١٢ ساعة دول كمان من عمر الـــزمن. وكنـــت أعلم القوانين الملزمة عند التأخير. الشىء الذى لم أجده فـــى مطـــار القاهرة هنا...

وفى مطار القاهرة وصلت الطائرة النمساوية لتطير بنا إلى مطار النمسا بالفعل بعد الـــ ١٢ ساعة التأخير.

فى قمة الإجهاد قد وصلنا، شحنتنا عربة ليموزين نمساوية، حيث الفندق الذى سننام فيه لمدة خمس ساعات فقط، وبكده يبقى راح علينـــا فسحة يوم فى النمسا... بسبب تأخير الطائرة.

وفى صباح اليوم الثانى وصلنا مطار كيندى وكانت "تونـــو" قـــد حذرتنى ألا اصطحب معى، فى شنطتى الهاند باج، مسدس صوت أو أى ألعاب نارية.

(٢)

كان فى انتظارنا شيرى ابنة نهلة البردينى ومهران زوج "شيرى" الذى يحمل الجنسية الأمريكية... ونونو هذه فى الخمسين من عمرهـا و"شيرى" فى الـ ٢٥، ومهران فى الثلاثـين، وأنـا فـى الخامسـة والخمسين...

تقدمت "نونو" لتعرّفنى على عريس ابنتها مهران... قائلـة إنـه يعمل فى إحدى الوكالات العالمية فى الاقتصاد، و"شيرى" فى إحـدى شركات الكمبيوتر الدولية.

أخذنا مهران فى عربته المرسيدس الزرقاء حيث المكـان الـذى سأقيم فيه فى ولاية بنسلفانيا...

وبينما نحن نرحب ببعضنا البعض قال مهران بصـوت زاعـق وباللغة العربية التى هى أشبه بلغة الخواجات عندما يتحدثون العربية، أستاذ محيى إحنا عايشين فى بنسلفانيا وهى تبع فيلادلفيا... وزى مـا حضرتك عارف أمريكا قارة فيها ٥١ ولاية... والمسافة من هنا لبيتنا ساعتين فاستحملهم لو سمحت... وإحنا بقى فى ولاية مـنهم "اسـمها بنسلفانيا" هادئة وجميلة. وأمريكا مليون بير من خطـوط الأنابيـب، والكهرباء والهاتف، ومليار الأراضى الزراعية، ونص مليار غابـة، و٦ ملايين و٥٠٠٠٠٠ مزرعة حتى الآن...

وإحنا ساكنين فى بيت نمرته ٨٠ وفى حى جميل جـدا، وبكـده يبقى أنت عرفت العنوان واتفضل قل لى... فهمت إيه والسـكة إزاى دلوقتى؟

في المساء وصلنا للمنزل، وقفزنا من عربته وأخذنا شنطنا ودخلنا بيتا أمريكيا رائعاً...

واستمر مهران يشرح، مساحة البيت أستاذ محيى ١٤٠ متر وجواه من جوه ٦ دواليب اسمهم كلوزيت هم جوه مش بارزين لبره زى عندكم... ولو الدواليب دى كانت بارزة... كانت الشقة ٢٢٠ متر يعنى المهندس اختصر لنا ٨٠ متر... اتفضل معايا، وسيبك دلوقتى من مراتى ونهلة...

دا واحد دولاب جوه الحيطة للأحذية والشنط...

دا ثانى دولاب جوه الحيطة للغسالة الكبيرة دى اللى بتغسل واللى بتنشف.

ودا ثالث دولاب فى غرفتى الكبيرة دى أنا وشيرى... شايف شايل بلاوى مِسيّحه بنيله... وتقدر تمشى جواه براحتك عشان كدا سمُّوه Walking-closet.

كنت أضحك على تعليقاته الفلاحى العفوية اللّى متعاصه طين مطين بطين...

ثم أضاف: ودا أستاذ محيى رابع دولاب فيه التكييف المركزى لكل الشقة... ودا خامس دولاب فيه كل الفانلات والفوط والملابس الخارجية والداخلية والتيشيرت.

ودا الدولاب السادس فيه السخان... وفيه دولاب ٧ كمان خاص بلوازم الجنينة.

والشقة كلها مكيفة وفيه حمامين والمية السخنة والمية الباردة على طول... وهنا عندنا ثلاث غرف... دى غرفة ماما "تنه" ودى غرفتى

أنا و"شيرى"... ودى غرفة الأستاذ حضرتك... وأحب أقولك معلومة صغيرة... لو جَت عاصفة ما تخافش، هى بس حتشيل البيت دا من جذوره وحتلاقيه طاير فى الهوا لأن كل البيوت هنا مسلحة بالخشب.. أى طلبات ثانية؟ أى سؤال؟

نمت واستغرقت فى النوم.

فى الصباح بدأت أتساءل: أين سكان هذا الحى...

فقالت لى "نونو" خَمِّن أين السكان؟

وداعبتها قائلا: هذه مدينة سكنية لم تسكن بعد. فقالت لى: كل السكان فى عملهم الآن ويعودون فى الرابعة عصرا... انتظرهم فى الرابعة وسوف تراهم... وكما ترى رقم كل شقة مكتوبة على الرصيف الذى أمام الشقة وأمام رقم كل شقة ستجد سيارة كل ساكن.

تناولت غدائى وتمشيت فى هذا الحى العالمى الشديد الجمال من الناحية الهندسية والشكلية وانتظرت فى الحديقة التى هى أمام حجرتى... حتى... الساعة الرابعة...

فوجدت العربات بشتى أنواعها وألوانها وموديلاتها تتدفق مهرولة فى رشاقة وقد اصطفت كل عربة وسكنت أمام شقتها فى هدوء واختفى راكبوها داخل شققهم.

اكتشفت ملعبا كبيرا... فبسرعة عدت للمنزل وارتديت التيشيرت والكوتش وبدأت تنفيذ البرنامج الذى وضعته لنفسى... المشى أولا... ثم الأكل مرتين فقط... ووجبات متوسطة ولا عشاء... وأغلق معدتى فى الثامنة... وأنام فى الواحدة مساء، واستيقظ فى العاشرة صباحا،

ولأن وزنى قد زاد ٢٠ كيلو فهذه فرصتى فى أمريكا وهى فرصة لن تعوّض.

لم أكن أعرف أن هذا البروجرام سيصيب نهلة البردينى بخيبة أمل فىّ، فأكم ونّسنُها فى الأكل كثيرا منذ سنين مضت والسهر حتى الفجر... وعدم الالتزام بأى برنامج زمنى فى الحياة... فعلام هذا الحزن الذى يكسو وجهها الآن؟

قالت لى نهلة البردينى ودلّعها (بنونو): شوف يا محيى...

أمريكا هذه القارة المهولة... هى بلد الأكل العجيب والغريب... وهذه فرصتك فى أن تلتهم كل شىء وبدون حساب وخاصة الشيكولاته التى تعشقها... ثم فى دهشة تصلّبتْ عيناها فى عينّى وقالت:

أهذا هو محيى الذى كان يأكل ٦ وجبات يوميا وكلها دسم، ويحلّى بعلبة شيكولاته... ولا ينام إلا قرب الفجر، نسيت خلاص صوانى الهريسة، وأم على... والشكالاما، وسد الحنك... والكمشرى المحشية بلح... والحلبسّه.

بعد أسبوع كان قد مر تأكدت نونو وشيرى أننى قد التزمت ببرنامج الريجيم ولا عودة... وبدأوا يتساءلون... ما الذى غيرنى فجأة... وهو الذى ظل ٢٥ عاما صديقا للشراهة فى الحياة... شَرهًا فى الأكل... شرهاً فى السهر... شرها فى عِشقه للحياة؟!.

صاح مهران الكشميرى زاعقا من داخل حجرته... ما لكم يا جماعة.

وسرحت وأنا أهمس لنفسى: لقد أنعم علىَّ الله بهذه الرحلة لكى أوقف شراهتى عند حدها... سائلا المولى عز وجل أن يقوّى لى إرادتى من أجل إنقاذ صحتى.

وهاهى النبوءة تتحقق... وهنا فى أمريكا بهذه الوقفة مع النفس... لإصلاح كل شيء كان قد فسَد وخاصة الـ ٢٠ كيلو الزيادة التى أفسدت رشاقتى... وجعلتنى مكتئبا...

(٣)

دق جرس التليفون وأسرعت "نونو" لتخبرنى...

- أنت مِدّى نمرة البيت هنا لحد فى أمريكا؟
- مين اللى بيتكلم؟
- مخرج من كاليفورنيا عاوزك اسمه ويل ريموند...
- هاتى التليفون بسرعة، هاتى.

أعطتنى التليفون الذى أخَذْتُه من يدها فى لهفة. فلقد كنت أنتظر هذه المكالمة بفارغ الصبر. فلقد تهاتفنا كثيرا، ولمدة عام، وذلك من أجل تصوير فيلم أقوم ببطولته على أن يصوَّر كله بكامل لقطاته فى كاليفورنيا.

والشيء الذى لا تعلمه (نونو) أننى قد أتيت إلى هنا بهدف السفر لكاليفورنيا بعد شهر من إقامتى معهم... بينما هى تعتقد تماما أننى قد حضرت معها لأمريكا بهدف الاستقرار عندهم ولمدة ٦ شهور، لأكون بمثابة الراعى الرسمى لهم خاصة وأن شيرى تحتاج لوالد فى مكانة

والدها وأقرب إنسان لها فى مكانته هو أنا، فلقد تربت على يدى ولقد مات والدها منذ سنتين، هذا من ناحية شيرى... أما من ناحية نونو فهى ترى أننى صديق العائلة على مدى ٢٥ عاما وأننى مثل أخيها الوحيد الذى توفى أيضاً.

فوالدها توفى والوالدة توفيت... والزوج توفى، وأقاربها المقربون رَحلوا والشقة التى تملكها فى القاهرة باعتها وكل نقودها أنفقتها... لذلك فأنا أشكّل لهم الأمل والثقة والأمان وواحد من أسرتها التى انعدمت...

وبينما نحن نتحاور فى التليفون، قال لى المخرج ويل ريموند السينمائى بصوت مسموع:

- ما عرفتش اللى حصل يا مستر محيى.
- لا ما عرفتش...
- مش عربية طسّتنى وأنا ماشى فى الشارع.
- إمتى إطّسيت؟
- من شهر.

يعنى الشهر اللى ما اتكلمناش فيه كانت الطّسه... معقولة؟

- بس رفعت قضية وفيه محام... وبتعالج...
- أنت عيان كمان.
- أيوه... محيى أنت هنا من إمتى؟
- من شهر.

- لما أشوفك حا أقولك الحكاية بالضبط... مش في التليفون... وياريت تبقى تكلمنى ع الموبيل أحسن... وما تتكلمش عن أى حاجة فيها شغل... سلام دلوقتى...
- ولما أعوز أطمئن عليك مستر ويل، إزاى!!
- فى نمرة الموبيل دا، بس كلمنى من موبيل أى حد عندكم، وما تطلبش من تليفون بيتك... وما تطلبنيش على تليفون بيتى. أصل لمَّا إنطسِّيت حصل حاجة فى الذاكرة عندى، ولسَّه الدكتور هيقرر، بس بركّز... بنسى ساعات بس بافتكر على طول... أصل العربية لما خبطتنى كنت ماشى سارح بافكر. فقدت شويه فى حاسة التذوق بس مش كل الحاسه، صحيح ما بقتش أعرف الحلو م الحادق، إلا لما أحط سكر كتير على الحاجة الحلوة، وملح كتير على الحاجة الحادقة... أسيبك دلوقتى ونتكلم بعد أسبوع... أهلا بيك مستر محيى.

كانت المكالمة بينى وبينه باللغة الإنجليزية... وما إن انتهت المكالمة حتى لفَّتْنى دوخة شديدة وفوجئت بأطراف أصابع يدى اليمنى وقد سرت فيها (تنميلة) فالفيلم الذى وعدنى به لكى أقوم بتمثيله هو طموحى الذى أعيش من أجله ويترتب عليه مبلغ ٢ مليون جنيه مصرى، وهو الهدف الذى أتيت من أجله.

تصبب العرق من وجهى فاحضرت لى "نونو" منديل كلينكس معبأ بالبارفان ومسحت به وجهى... مَدَدت جسمى على الشيزلونج فى الصالة... تأملتنى فى شفقة وهى تحاول أن تحل هذه الشفرة التى هو أنا... ثم قالت بصوت عال فجأة:

- مالك يا محيى.
- المخرج عمل حادثة.
- أحسن.
- أحسن إزاى دا أنا أروح فى داهية.
- إنت جايبله والاً جايلنا؟
- أيوه... بس الفلوس دى حتوقّفنى على رجلى وتنقذنى من حاجات كثيرة بتؤرقنى فى القاهرة ليل نهار ومابتخلنيش أنام.
- احمد ربنا أنك هنا بتنام وبتشخَّر.

أول مرة فى حياتى أشوفك بتنام هنا الساعة ١ بالليل وتصحى ١٠ صباحا زى القرد المسلسل. حاول أن تهدأ فأنا أعرف عنك جيدا أنك تعانى من القلق وتنام ثلاث ساعات فى اليوم طول عمرك... فاشكر الله أن الهمّك هنا فى أمريكا النوم وراحة الأعصاب... واشكر الله أنك هنا لا تعمل وتأكل بنظام وتشاهد التليفزيون الأمريكى الشديد المتعة وبتلعب رياضة...

عادت شيرى من عملها لتفاجأ بالخبر الذى أخفيته عن الجميع... فهاهى والدتها تخبرها أننى قد حضرت هنا ليس حبا فيها ولا رعاية لها... لكن أملا فى الدولارات التى تنتظره فى كاليفورنيا... يعنى إحنا بقينا ترانزيت. هكذا صاحت نونو وصرخت...

لم تستطع شيرى أن تخفى مشاعرها... فبكت متأثرة، فلقد اكتشفت أنّها خُدعت فى وأنّنى أتيت من أجل خطّة أخفيها عنهم وهى التى كانت فى منتهى السعادة عندما علمت بحضورى لأعيش معهم

أطول فترة فى بنسلفانيا، الآن تشعر بالضيق فور سماعها خبر سفرى لكاليفورنيا...

ولم أجد أى تعليق سوى أنّنى أخــذت شــيرى فـــى أحضـــانى وطبطبت عليها فأنا أبوها الروحى فى الحياة...

واقتربت منا "نونو" لتعلن... شيرى ما تزعليش... أنـــا خفيــت باسبوره لما أشوف بقى حيسافر إزاى؟

فمسحت شيرى دموعها وهى تنظر لى فى مودّة:

– محيى خليك معانا زى ما كنت معانا طول عمرك... أنا صحيح متجوزة هنا بس وجودك معانا دايماً بيحسسنا بالأمان وأن فيـــه أسرة...

فُتح باب الشقة فجأة... طلت رأس منها... فكانت رأس مهــران وفى صوت واحد رفعوا له خبر سفرى كاليفورنيا... فعلق زاعقا فـــى حب...

– أستاذ محيى هنا بيتك وما فيش سفر من هنـــا... ســفر حتّــه ثانيه... عيب. أنا فرحت لما شفتك ودلوقتى إنت الكبير هنا زى والدى...

– فقلت له... متكَبَّرنيش أوى كدا... أنا لسه شباب زيك...

– فقال لى... بس أنت الكبير دلوقتى وصـــديقهم طــول عمــرك فإزّاى تتخلّى عنهم. وجاى هنا عشـــان تســتريح مـــن شـــغل السنين... وحتى لو رحت نيويورك أو حتى كاليفورنيا وقابلـــك مصريين م اللى بيحبوك... وعزموا عليك تبات... مـــاتبتش... عيب. لأن دا بيتك...

ثم صاح على نونو...

يا أمى كتَّرى الشَّطة فى اللّفت... عشان الأستاذ يصلّح معدته... واغرفيلنا العدس الكشميرى.

امتلأت السفرة باللفت المطبوخ بالشطة والعدس الأسود والحلل فمهران هذا يحب أن يضع الحلل أمامه على السفرة ويَغْرف منها بالمغرفة فى الصحون.

هنا تراجعت عن الأكل وقمت فجأة فصاح مهران:

– أستاذ محيى قمت ليه... مالك؟

– أنت بتأكل بصورة بدائية وغير مُسْتحبه... بتاكل شكولاته وحلاوة طحينية وجيلاتى... قبل الطبيخ... وبتلحس بلسانك الطبق والمعلقة وبتكبش الرز بايدك... ما فيش حد قالك إن كدا عيب...

– قالولى... بش أنا مش قادر أبطل...

– لن آكل معك مرة ثانية... واتجهت لحجرتى...

وهنا أقسم لى مهران أنه سيتَوقف عن هذه العادة البدائية ولا عودة...

– عدت للمائدة... وهنا أصدرت تعليماتى بإدخال الحلل المكشوفة لمكانها داخل المطبخ حيث يتم الغرف منها وهى فى الداخل... لتخرج الأطباق ممتلئة منها للخارج...

وبينما كانوا يضحكون... قالت "نونو":

- عرفت إحنا عايزينك تبقى معانا ليه كمان؟ عشان ريَّحتنى من حط الحلل وشيل الحلل والغَرْف م الحلل... وكمان عشان تخلى بالك منُّه شويه...

انقضَّ على عقلى شرود أسلمنى لجهامة استقرّت على وجهى... وبدأت التساؤلات تفور فى داخلى.

ما سر هذا المخرج الذى طلب منى الحضور... وبناء على كلامه حضرت وهو الذى قال لى إن كلمتى هى بمثابة تعاقد لبدء العمل... وهو الذى أرسل لى ثمن التذكرة (باليونيون وتسيرن) وبدأ الشك يساورنى... هل تخلّى عنى بعد حضورى حتى هنا لأمريكا... أشك...

هل يعلم أننى تركت ربع مليون جنيه مصرى وعملا هاما ضاع من تاريخى الآن لأنه يصوّر فى هذا الشهر الذى أنا فيه الآن فى أمريكا... هل يعلم!!

قطع علىَّ شرودى مع نفسى دخول شيرى علىَّ فجأة... بطبق مشروم وسلطة زبادى وسلطة خضار... وأعطتنى المعلقة ثم الشوكة بطريقة محببة وجلست بجانبى وقالت:

- اتفضل أكلك الخصوصى...

بدأت الأكل محاولا إسكات ما يحدث فى عقلى الذى على وشك الانفجار... فانتظار مكالمة هذا المخرج أسبوعاً آخر هو قتل نفسى بطىء بالنسبة لى... دسست المعلقة والشوكة فى الطبق بدون وعى وبدأت آكل... وشيرى تنظر لى متفحِّصة... ثم قالت:

- ما تزعلش أوى كدا... ليحصلك اللى حصل مع صمويل...

- مين صمويل دا؟
- زميلى فى الشغل عمره ٣٠ سنة حصلتله هارت أتَّاك... ثم ماتنساشى إنك لسه ما اتفسحتش... فعشان خاطرى وخاطرك وخاطر ماما وزوجى إستنى شوية نفسحك... وبعدين عشان ماتزَعّلش نفسك كمان... إبقى روح كاليفورنيا وبعدين إرجع لنا تانى... لسه عندك ٥ شهور... وباسبورك معايا... أنا اللى مخبياه مش ماما.

مَرَّ شهر على بقائى معهم وأنا أمارس الرياضة والقراءة ومشاهدة التليفزيون الأمريكى والفرجة على المُولات والسوبر ماركات... والنوم الذى حُرمت منه سنوات وهواية التأمل التى تلازمنى باستمرار.

كان وزنى قد نزل ٥ كيلوات... وكنت سعيدا بعد أن درست المنطقة التى أنا فيها... لكن زاد من شرودى انتظار المكالمة التى لم تأت فى موعدها كما وعدنى ويل ريموند...

كنت أُصلّى وأدعو الله باستمرار أن يقف بجانبى... حتى لا أصاب بإحباط... ولكن للأسف لاحقتنى الهلاوس وجرفتنى فى صراع وجدل...

حاسس إن راسى رأس كرنبة محشية رز...
لما بامسك رأسى كدا وَأهزّها وألفّها أحس
إنها رأس كرنبة محشية رز
يعنى أنا خلاص بقيت تبع سوق الخضار
زى الحرنكش والخيار

كل شيء قُدَّامي ماشي
كل شيء آهو بيمشي
بس ليه بالسرعة دي
يتسرسب الزمن من بين إديَّه
شبوره آهي قُدَّام مِنِّي
وسحابه آهي داخله عَلَيَّهْ
حاسس كَإن مَيَّه بيضه حَطِّت على عيني وضلِّمتْها.

(٤)

دخلت على شيرى وفى يدها كيس فشار كبير وهى تضحك فى طفولة:

– محيى مالك... قوم يا فنان... وبطَّلْ سَرَحَان... قوم إلْبسْ بسرعة...
– حروح فين؟
– بس قوم إلبس إنت حتقعد مستنى مكالمة المخرج دا أسبوع؟! والاَّ نتحرك لحد ما يتكلم؟
– ما أنا لابس آهه، كنت أرتدى الزى الذى يرتديه معظم الأمريكان وهو التيشرت والشورت والكوتش...
– إتْشَيِّك أكتر، إلبس قميص وبنطلون وجزمة جلد... ثم قالت لى:
– اتبعنى...

أخذتنى من يدى حتى دولاب اللبس وأخرجـت لـى القمـيص والبنطلون... فارتديتهما.

- اركب، أنا أخَذت لك إجازة مخصوص عشان أوَرِّيك مالم تـره عينك من قبل... بعدها (تِوَدَّع أهلك) هكذا كانت تداعبنى...

انطلقت بنا عربتها الكاديلاك الأمريكانى السوداء التى هى أقرب لعربات رؤساء الجمهوريات... وهى تسوق فى رشـاقة والموسـيقى والتكييف يمران على رأسى التى ستنفجر يداعبانها بينما هـى تـردد (إنسى الدنيا وامشى عليها... إحنا يا عمو لينا إيه فيها) وامتدت يـدها فجأة أمام وجهى وقالت اشرب... فشربت شايا مثلجا بدون سكر...

- سألتها: السرعة ليه؟

- دى ثمانية سلندر يا محيى... مافيش وقـت عـاوزين نلحـق الزمن...

- يا سلام دا أحنا نضجنا قوى...

- عاوزين نلحق نيويورك... ومانهاتن...

وفى طريق الهاى واى... ومن على بعد قالت لى: انظر... هذه هى نيويورك... والتى أراها الآن من على بعد كعيدان كبريت...

كنت مذهولا من ناطحات السحاب الممتدة فى العراء... ومن لذة هواء التكييف... نمت...

- خليك نايم لما نوصل مانهاتن حصحيك...

طارت العربة بى وأنا نائم فلقد أسرعت أكثر وأكثـر والطريـق الممتد يساعدها على شد السرعة... أحسست أننى أحلم وطاير علـى

كاليفورنيا... إلى أن أيقظتنى وقالت لى: محيى أنـــت بـــتحلم وأنـــت صاحى...

- أنا نايم... مصدقت أنسى شوية وأنام...
- أنت مش نايم... أنت بتغمغم... بتقول إيه؟
- ما عرفش قلت إيه.
- قلت: فورنيا، فورنيا... أنا جايباك هنا عشان تنسى مش عشان تفتكر...
- إحنا فين؟
- بص أمامك... نيويورك... هى دى اللى كنت شـــايفها عيـــدان كبريت...
- إيه العلوّ دا؟ إيه الفخامة دى؟ دا خيال.
- أنت هنا فى مانهاتن، ودول أطول ناطحتين سحاب فى العـــالم اسمهم المركز التجارى... يحوى كل مبنى ١١٦ دور.
- شىء مهول...
- تحب نصوَّرك عنده؟
- صَوَّرِى...

والتقطت شيرى لى صورة فى هذا المكان الذى لن أنســـاه مـــا حييت...

ثم قالت لى: اركب...

وركبت وانطلقت بنا الكاديلاك...

ثم قالت: انزل...

ونزلت سيرا على الأقدام... قالت لى... هل تعرف المكان الذى نحن فيه الآن؟

- لا.

- برودواى حيث أكبر المسارح الاستعراضية فى العالم... فهنا يعرض مسرحيات إيفيتا والبؤساء والقطط والمسيح أرقى النجوم...

انتقلنا بعد ذلك للحى الصينى China Town، الشارع كله منتجات الصين طوله كيلو...

وبعد تمشية نصف ساعة على أرجلنا عاد لى شرودى... فلم تستطع شيرى أن تخرجنى من الصورة القاتمة التى تلوح أمام عينى... رغم أن الإبهار الذى أمامى من كل جانب ينسيك أهلك على حد قولها...

فلماذا أنا لا أنسى...

نظرت لى شيرى جيدا تراقبنى ثم قالت: العربية اللى جايه دى حنركبها، وجاءت العربة وركبنا وصعدنا للدور الثانى أعلى العربة، وجلسنا على كراسى جميلة وكان الهواء الطلق يدخل فى كل جسمى فى رقة وعذوبة وكانت تجلس بجانبى فتاة أحسست أنها وقد استحمت بالسحاب، فهى بيضاء ناصعة وجمالها مشرقط وإذا نظرت إليها ستتصلب، ستثبت مقلتاك ويصبح من الصعب عليك أن تحركهما بعد ذلك.

رمقتنى شيرى بنظرة من تحت لتحت ثم قالت لى: بص قدّامك أحسن... هنا. مفيش حد بيبص على حد... إنت شفت هنا أمريكانى بيبص على أمريكية أو أمريكية بتبص على أمريكانى.

هنا الأمريكان لا ينظرون خلفهم أو يمينهم أو شمالهم وإنما دائماً ينظرون أمامهم...

العربة التى تركبها الآن اسمها Hop on – Hop off ومنها تشاهد كل نيويورك... عاصمة العالم كله كما يقولون... وبدأت المذيعة تشرح الأماكن التى نمر بها:

وول استريت Wall Street

أهم شارع فى العالم وهو أغلى شوارع العالم وهو يحوى المصارف الدولية والبورصات والبنوك وأكبر شركات استثمار عالمية... وفى هذا الشارع تم تصوير النجم الأمريكى روبرت دى فيرو فى فيلم Show time وهو يدخل فى ناطحة السحاب هذه فى الشهر الماضى... وأشارت المذيعة إلى إحدى الناطحات...

وهذا كوبرى بروكلين أكبر كبارى نيويورك طولا وعرضا وارتفاعا... وهذه سفينة كريستوفر كولمبس...

كانت عينا شيرى تتابعنى باستمرار وأنا أشاهد نيويورك وجمالها ثم قالت لى: جعت؟

– أيوه.

– يبقى ناكل.

– حناكل فين؟

- تحب تأكل فى المطعم الصينى ولا الأمريكى ولا الهنـدى ولا الباكستانى ولا اليابانى ولا الفرنسي...
- الصينى...

دخلنا المطعم الصينى ويا جمال أكلهـم المشطشـط... سـيدات وفتيات وشباب ورجال من الأمريكان... وسألتها:

- كل اللى بياكلوا هنا أمريكان؟
- أيوه... بيموتوا فى الـ Spicy الأكلات الحرّيفة وخاصة الأكل الصينى...
- إيه النظام والنظافة والجمال والأدب والهدوء والإشراقات التـى تعلو الوجوه.

وأخرجت شيرى الكريدت كارت لتحاسب وحافظتها تحـوى ١٠ كروت فأمريكا كلها تتعامل بالكروت... يعنى كل فلـوس الأمريكـان والوافدين بتصب فى بنوكهم وأسواقهم وبالتقسيط المريح... اشترى... وعَبِّى... وشيل... من فلوسك اللى متحوّشه عند الدولة اللى بتـديهالك بس مش فى إيدك إنما بكروت فى جيبك فيها رصيدك... وطول مـا أنت عايش بتشترى وبتسحب منه وعليك أن تتحمل مسئولية اختيارك وصرفك...

نظرت شيرى إلى ساعتها وقالت: شعرك مش عاجبنى... تحلق علشان تفوق...

- تفتكرى...
- أفتكر...

دخلنا محل حلاقة أمريكانى أشبه بقصر جميل وشديد الروعة والجمال من الداخل والخارج واسمه "كاميلوت" وفى الداخل وجدت ثلاثة من ملكات الجمال وهؤلاء هن الحلاقات...

أخذت فلورنس المبطرخة رأسى وغسلتها جيدا بالشامبو اللّى ريحته خلتنى أغمض عينى وأحلم.

فزغزغتنى شيرى... مالك أصحى...

- ما أنا صاحى.

- ومالك قافل عنيك كدا؟

- باحلم بالحلاقة الجديدة...

- قصدك الحلاّقة اللى بتحلقلك...

بدأت عملية القص وشرحت لها شيرى كيف ستكون القصَّة، ثم قالت لى شيرى: ممكن تنام بالفعل، غلبنى النعاس من شدة النشوة والانتعاش والزهق من التفكير فغفوت. صحوت فجأة على أزيز المقص وهو يزن قرب أذنى وحاولت أن أخرج نفسى من دوامة التفكير وأعود إلى طبيعتى المرحة فانسلخت من نفسى خارجا مُمثلا على الحلاّقة الرائعة الجمال المتفجرة أنوثة ولظلظة... مَثّلت عليها أننى نائم، ولكن بطريقة هى لم تَعْهدها فى أى أحد حلق عندها من قبل... مَثّلت عليها أنى نائم بينما عيونى مفتوحة وبدأت أشخر ولا أحرك حدقتىْ عينى... سقط المقص من يدها وهى مذعورة وتضحك، وأنا لا أحرك ساكنا، وكلما اقتربتْ بالمقص منى تضحك. وسألتنى ما اسمك؟

- محيى

ثم قالت بالإنجليزية: معقولة حد ينام ويشخر وعنيه مفتوحة؟ ثـم طلبت منى أن أنزل رأسى للأمام (أطاطيها يعنى)... فانزلتهـا وبـدأ المقص يتحرك فى قفاى فى نشوة...

دفعنى الانسجام لأمد يدى خلسة داخل جيبى وأخرج تفاحة وبدأت أكضمها وآكل، فضحكت بشدّة عندما شاهدتنى على هـذه الصـورة، وزاد ضحكها أكثر عندما عدت لحالتى الأولى... النـوم... وعيـونى مفنجلة مواصلا الشخير... ولم تصدق شيرى ما أفعل واشتد الضـحك بين شيرى والحلاقة... وشيرى تزغزغنى وتقول بالعربية: الأمريكان هنا مايعرفوش الهزار بتاعنا دا...

- ماهى بتضحك أهه والدم بيبك من وشها...
- إيه رأيك فى الحلقة الجديدة دى يا مستر محيى؟
- أنا كدا أمريكانى...

لبست نظارتى وأحسست بأن شكلى قد تغير تماما.

- أصبحت أطول ٢ سنتيمتر... دا اللى أنا شايفاه وحساه... ولـو مش مصدّق شوف شعرك قبل ما تحلق، وشوف شعرك بعد ما حلقت.

ثم ركبنا العربة الكاديلاك السوداء قاصدين فيلادلفيا...

- ولماذا فيلادلفيا...
- خليها مفاجأة...
- يا سلام يا شيرى كل حاجة عندك مفاجأة...

- اسمع الأغنية دى وودَّع أهلك... مامى مش حتعرفك بعد الحَلقة دى... شكلك اتغير خالص... يالاً نَام ولما نوْصل حَصَحِّيك... هات الكرسى للوراء...

ضغطت على زرار، تَحوّل الكرسى لسرير، نمت علــى جنبــى الأيمن، حتى أحس أننى فى سرير حقيقى...

وبينما أنا نائم فى سعادة عادت لى هــلاوس وهــواجس الســفر لكالفورنيا فاعتدلت فجأة وبرقت عيناى وَظلّت شاخصــة أمــامى دون حراك... فقالت لى شيرى:

- كاليفورنيا برضه؟

- عرفتى إزاى؟

- هو أنت بقيت شايف غيرها!...

ثم إن كاليفورنيا دى ولاية ثانية، ٦ ســاعات ســفر بالطيــارة، والتذكرة حتى كاليفورنيا بـــ ٥٠٠ دولار. ثم إن الرزق دا ربنا اللــى بيوزعه مش المخرج اللى أنت مستنيه عشان يكلمك... فسبها على الله.

وإحنا مامنعناشى إنك تسافر، فى أى وقت، لا أنا ولا مامى...

- المشكلة دلوقتى مش أنتم - المشكلة هُوّ...

- طيب... ماتعيش اليوم اللّى أنت عايشه أحســن فــى ســلام... نفرض جرالك حاجة... ح تروحله إزاى وأنت تعبان... ثم إنك من شوية عند فلورنس الحلاقة كنت بتضحك... وأنــا كمــان عاوزه أضحك... أنا طول السنة باشتغل وما بصدق أخذ أجازة عشان أستريح... وما صدقت أنك جيت عشان نضحك زى مــا كنا بنضحك طول عمرنا...

أخرجت زجاجة البارفان ورشت وجهى ويدى، ثم ابتسمت وهى تداعبنى.

- فقت؟
- فقت.
- فين ضحكة محيى بتاعة زمان... يعنى تضحك مع الحلاقة وأنا ما تضحكش معايا!...
- معقولة يا شيرى... دا كلام برضه...
- خلاص وصلنا... انزل... هات إيدك...
- آهه...
- اضحك
- أهو...
- فتّح عينك...

فتحت عينى على آخرها فشـاهدت ٦٠٠ ولـد وبنـت علـى الفرّازة... تتراوح أعمارهم ما بين الـ ٢٥ والـ ٣٠...

- إحنا هنا فى مجمع الفنون بفيلادلفيا... وحنرقص كلنا دلوقتى لما الموسيقى تدق (رقصة الصلصة).
- فقلت مداعباً (من غير دِمعة).

فعلقت ضاحكة... ومن غير شطّة كمان...

- ما تفكرنيش بالشطّة الكشميرى...

دقت الموسيقى وتشابكت الأيادى فى الأيادى وهات يا صلصة... وكانت أشعة الليزر تتسلل فينا مما جعل الرقص عبارة عن خيال فـى

خيال... ولولا التهريج المستمر من الكل... لتوَّج الخيال هذه الرقصة في لوحة تذكارية لا تنسى...

رقصت مع شيرى ومع أمريكية، ولمدة ساعتين حتـــى خـــارت قواى تماما فشيرى هذه لا يجاريها أحد فى رشاقتها وسخونتها وهـــى ترقص... بوجهها هذا المصرى المشع فى الجمال والذى يفوق جمال أمريكيات كثيرات، وإذا كنتم ترونى مبالغا فيما قلت... فتعالوا انظروا وجهها وهى تضحك فى رقة.

اشتد الرقص على أغانى ألفـــيس بريســـلى أســـطورة أمريكـــا الراحل... حيث دوَّت أغانيه الصاخبة.

وكُنَّا نرقص على هذه الأغنية...

I want you
I need you
I love you
Don't be cruel
Hound dog
Love me tender
too much
all shook up
Good luck charm
Suspicious mind

أنا أريدك، أنا أحتاجك، أنا أحبك، لا تكن قاسيا، مثل كلب الصيد، أحبنى برقة، كثيرا جدا، كل شيء يتراقص، حظ سعيد أيتهـا العقـول الساحرة المريبة.

(٥)

انتهت الحفلة، وركبنا العربة وغطست فى نوم سعيد مرهق ولمدة ثلاث ساعات.

وصلنا للمنزل فى الشقة رقم ٨٠ فى هذا الحى الجميل ببنسلفانيا. أيقظتنى شيرى... واستقبلتنى "نونو" مرحبة:

– يا هلا يا هلا... انبسطت يا أيها الفنان الجميل...

– خالص... وختمنا الجولة بحفلة فيها ٦٠٠ ولد وبنت منتقين على الفرَّازة، عندهم توقُّف الجمال...

ثم قدمتنى "نونو" لضيف زائر كان يجلس على مائدة السفرة فـى الواحدة مساء عارى الصدر والبطن أيضاً... وهى تقول حسام صديقنا هنا فى أمريكا...

ثم قالت حسام الرُّويعى دا مصرى معاه الجنسية الأمريكية وبقاله ١٠ سنين هنا وهو مهندس إلكترونيات... ودمه عسل...

سلَّمنا على بعضنا ولم أكن مهيأ لسماعه، وعندما هممت بدخول حجرتى لكى أنام قالت لى: حسام حيبات عندنا... أصله سـاكن فـى نيويورك... ويدوبك لسه واصل... ثم قذفت له بيجامة رجالى... وهى منتشية للغاية... وكان هو يهم لكى يتعشى فتوقف عن العشـاء وهـو

يقول: أستاذ محيى... قناة Art العالمية بالتليفزيون بتذيع لحضرتك حديث على ٣ أجزاء شفتهم؟

- لا
- معقولة؟
- صدقنى مشفتهمش...
- دا يدوبك من أسبوع وكمان عادوها... بناء على طلب الجمهور... أنا شفتها بقى فى الإعادة وحضرتك كنت ممتع ومثير ورائع ومثقف ودمك خفيف...

فشكرته ولم أكن أعلم أن هذا البرنامج "ساعة صفا" مع المذيعة والفنانة اللامعة صفاء أبو السعود سيذاع وأنا هنا فى أمريكا...

اختفت شيرى ومهران فى حجرتهما... فتوجهت لحجرة مهران وسألته مين حسام دا...

- قال لى دا صديق ماما... وإحنا ما بنحبهوش بس مش عايزين نزعلها... عشان كدا أول ما ييجى بنخش أودتنا على طول...
- ثم سألته: بيبات عندكم؟

رد مهران فى قرف:

- أيوه ماما ننه بتحبه بيسليها ويحكيلها حكايات...
- هو متجوز؟
- متجوز أمريكية.

فرحت وجلست بينهما كالشوكة فى الزور... أو قل كجملة اعتراضية وأنا شارد... بينما هو يحاول جذبى فى صفّه بإلقاء النكت المضحكة والتودد لى طالبا منّى صورة عليها توقيعى وتقديم خدماته

لى بأن يعزمنى على العشاء... وفسحة وغداء فى نيويورك... فشكرته محايدا...

ولكن نونو ألحت علىَّ أن أذهب معه فى الصباح لنيويورك... ثم قالت لى: أنت مش كنت بتقولى إن لك صديق مصرى عايش فى نيوجرسى... خلاص كلّمه وخد معاك حسام يوصلك بكره لحده... لإنك لوحدك مش هتعرف توصله... وكمان شيرى بتبقى فى شغلها... ومهران كذلك... وبييجوا من الشغل تعبانين يدوب يأكلواويناموا.

ثم قالت لى: هنا الناس مش زى مصر، وكمان مفيش هنا أسرار... وكمان مالناش أصدقاء كويسين... وما صدّقنا لقينا إنسان محترم نِدخله بيتنا... ما هو مش أى حد نعرفه يخش بيتنا... وأهم من دا كله عمره ما جاب سيرة حد... ولا عمره اتكلم على حد...

- خلاص اللى تشوفيه...

ثم قال لى حسام... معاك عنوان الصديق اللى حتشوفه فى نيوجرسى؟

- معايا.

- يبقى بكرة الصبح إن شاء الله نروح له... ولو حَبّينا نبات عنده نبات...

- ونبات ليه؟ ما نرجع فى نفس اليوم بالليل...

- يبقى أحسن... تأمرنى يا أستاذ محيى.

اتجهت إلى الأنسر ماشين لأستمع للمكالمات المسجلة... فلم أجد أى مكالمة بخصوصى...

كانت الساعة الرابعة صباحا فقلت لنونو مش حتنامى..؟

- فقالت يالا ننام...
- حسام حينام فين؟
- فى أودتى.
- ما ينام فى أودتى أنا...
- وأنت تنام فين.
- فى الصالة، ع الأرض، أيوه أنام على الأرض.
- ما يصحش.
- الأصول كدا.
- محيى يا حبيبى... حسام الرويعى دا زى المرحوم أخويا وزيك...
- ما تقوليش زَيَّك... مافيش حد زيِّى ولا زى المرحوم أخوكى... الظاهر أمريكا غيرتلك أفكارك...
- أنت عارفنى كويس...
- غريب ينام فى أودتك.
- قلتلك دا زى أخويا...

ثم صاحت على حسام... فدخل حسام حجرتها التى أنا فيها... ثم سألته؟

- قولى أنت أول ماتخش أودتى عشان تنام بتعمل إيه؟
- بشخر...

تركتها وذهبت لحجرة مهران فى ذهول أسأله.

- دا حينام فى أودتها...

رد مهران:

- أصله دا... اللّى بيضحّك ماما قبل ما تنام...

(٦)

ليس فى يدى شىء أفعله، فأنا هنا ضيف... وأعلم أن نونو هـذه عاشت لمدة (١٥ عاما) بين أوربا وأمريكا، وهذه هى المرة الأولى فى حياتى التى أعيش معهم هنا فى الغربة ولمدة طويلة... وفـى مكـان محكم بين جدران أربع خارج مصر.

وهم مسئولون عنى... وقد أخفوا باسبورى... وتذكرة الرجـوع وعلىَّ أن أتعايش معهم حتى يحين موعد سفرى لكاليفورنيا لتمثيل هذا الفيلم الموعود مع ويل ريموند.

وقبل أن تنام نونو وحسام فى حجرة واحـدة صـاحت بـأعلى صوتها:

- محيى... تصبح على خير... وماتنساش حكمتـك الشـهيرة...

"أنت حر مالم تَضُر"... وكانت الساعة الخامسة فجرا...

ظللت يقظا طوال الليل... وما أن أُطفئت الأنوار حتى تَسَّـحبتُ على أظافر قدَمىّ بعد ساعة متجها لغرفة نونو... فوجدت نونو نائمـة تماما على السرير وحسام نائماً على الأرض وهما يشـخران... ثـم عدت لحجرتى وفى يدى كتاب أقـرؤه وأمـامى بـرامج التليفزيـون الأمريكية... وبعد نصف ساعة تسـحبت ثانيـة متجهـا للغرفـة... فوجدتهما مازالا يشخران ونائمان تماما... ومرت السـاعة السادسـة والسابعة وأنا لا أصدق ما يحدث أمامى...

بعد لحظات سمعت صوت أقدام نونـــو وهـــى تهمـــس: محيـــى محيى...

- صباح الخير إنت لسه صاحى.
- لسه.
- ليه صاحى؟ برضه الفيلم؟
- لا إنتى...
- كبّر دماغك يالاّ تعالى نفطر... قوم... شوف وشك كله تجاعيد م التفكير وعدم النوم، دا يصح برضه؟ قوم.

تناولنا الفطور نحن الثلاثة... بينما شيرى ومهران كانا نـــائمين فاليوم السبت... إجازة...

ارتديت التيشرت والجينز والكوتشى... وخرجت أنا وهذا الغريب متجهين لنيوجرسى... وكان فى استقبالى هذا المصرى الأمريكى الذى يعيش فى أمريكا منذ ٢٠ عاما، رحَّب بى وقدم لى زوجته الأمريكيـــة التى رحبت بنا... وألحّ علىَّ أن يستضيفنى فى منزله... ولكنى أعلمتُه أننى فى طريقى إلى كاليفورنيا حيث سأمثل فيلما أقوم ببطولته يصور بالكامل فى كاليفورنيا مع أحـــد المخـــرجين الـــذين يعيشـــون فـــى كاليفورنيا... وبينما نحن نتناول عنده الغذاء... فوجئت بحسام ينظـــر لزوجة صديقى الذى أزوره نظرات شهوانية، فى اللحظة التى قام فيها صديقى ليحضر الفاكهة كى نُحلّى... لقد لاحظته بدقّة، أما هـــو فلـــم يلاحظنى... لقد تحوّلت فى هذه اللحظة إلى كولمبو الذى يراقب بدقة، ولم أعلق على ما رأيت...

انتهت الزيارة... وفى طريق العودة حكى لى حسام الرويعى قصة حياته التى لم أكن أحب سماعها. ثم حكى لى قصة هذا المكان الذى أنا الآن أقيم فيه... وأنا أستمع له دون تعليق قائلا:

- نهلة البرديني دى (ترانزيت) لما بيكون معايا واحدة أو محتاج مكان بالليل أريَّح فيه مافيش مكان غيرها... والأخ مهران دا جلف وخسارة فيه (شيرى)... والبيت دا باختصار كده أنا الكبير بتاعه... ومالوش راجل غيرى...

ثم حكى لى سرا دفينا لم تحكه لى نونو... وكان هذا السر يمس سمعة الجميع فى هذا البيت الذى أحترمه والذى أنزل فيه ضيفا... حيث واصل حديثه لى سائلا كجس نبض لى:

- إنت تعرفهم من إمتى؟

فقلت له كاذبا عليه حتى أعرف كل ما عنده:

- أعرفهم من سنة فقط...

فقال: طب أسمع بقى اللى ماتعرفوش عنهم:

- مهران الجلف دا بيخون مراته... والست والدتها والتى تدَّعى أنها أرستقراطية، هى أبعد ما تكون عن الأرستقراطية دى ماعندهاش حاجة غير سيرة الناس... وعندما تدخل معها فى صراع أو يحتد النقاش تكتشف على الفور معدنها فهى لا تعرف الحياء أو الخجل، سليطة اللّسان... تعشق اقتحام حياة الآخرين وفرض نفسها عليهم دون أن يسمح لها أحد بذلك... مزعجة تحب السيطرة... ومصلحتها فوق الجميع... ممثلة بارعة تلعب على كل الأطراف... تمزج الكذب فى الصدق فى الضحك...

لكن من يتأملها جيـدا يكتشـف حقيقتهـا، فهـى مراوغـة... مخادعة... تنقض عليك من أى ثغرة تتصيدها أثنـاء حـوارك وعندما تحاصرها لتنزع عنها قناع الفضيلة الذى تتمسّـح فيـه تفاجئك بالرد الفورى الذى يجعلك تحسّ بأنك أنت المخطـئ... وأنّك لم تفهم ما تقصده... ونصيحتى لك حتى تعيش معهم فـى سلام أن تكسر رأس هذه الأفعى نهلة البردينى بأن يعلو صوتك فوق صوتها ولا تترك لها فرصة فرض رأيها... فهى بـلا أى رأى ثابت فى أى موضوع... ومعظم معلوماتهـا خاطئـة... راقبها جيدا لتكتشف بنفسك أنها تمثل عليك الصدق، لكنّها تتنفس الكذب...

ثم أنهى حديثه خاتما: معلهش دى حاجة كانت جوايه... وأقسـم لك بالله إنك أول إنسان أُسِرّ له هذه الأسرار، لأنّى أحسست فيك الطيبة وواضح من حديثك أنك ابن ناس متحضر... وأخاف عليك أن تصطدم بها...

كانت سيارته قد اقتربت من الحى الذى أعيش فيـه معهـم فـى بنسلفانيا... نظر لوجهى فوجدنى صامتا... ولا تعليق... وما إن دخلنا معاً من باب الشقة وَهَمّ بخلع حذائه... حتى وَاجَهْتُ نهلـة ومهـران وشيرى بكل كلمة قالها لى... فطفح الموقف... كسيل جارف. أصابهم بشدة حتى كاد نخاعهم أن يخرج من رءوسهم...

وهنا انقضّ مهران الطويل كنسر جارح فجذب حسام الرويعـى من قميصه الذى كوَّره فى يده ودخل به فى عمـود مسـلح... وهـو

يبصق على وجهه ويركله بقدمه ويضربه برأسه بينما نونو قد بُحّ صوتها من الصراخ فيه والدفاع عن نفسها...

وشيرى... تبكى فى ألم على هذا القذر الذى لم يحترم هذا البيت الذى يستقبلونه فيه بالترحاب وكأنه واحد منهم...

ثُمَّ كَرَشْتُه وردّ الإهانة عليه، وبدون رحمة...

بعد فترة صمت طويلة نظرت لى نونو وهى تقول لى:

- إوعى تصدق أى كلمة قالها لك المنحط دا، دا هُوّ اللى بيقول لى وينقل لى أسرار كل بيت بيخشه...
- وإنتى بتسمعيه ليه؟
- عشان الملل اللى أنا فيه... بيسلّينى فى وحدتى هنا.
- مش دا اللّى أنتى قلتيلى عليه عمره ما جاب سيرة حد، ولا اتكلم على حد، مش دا اللى أنتى سمحتى له ينام فى أودتك...
- مش بعيد أنه يقول إنه كان ينام معايا أو مرافق بنتى.
- الحرية يا نونو لها حدود وتصرفاتك محسوبة عليكى.
- صح أنت صح طول عمرك ابن ناس ومخلص...
- سمعة الإنسان يا نهلة هى كل شىء، وعندما يفقدها يفقد أغلى شىء...

حاحكيلك قصة صغيرة...

سئل أحد الأبطال عن سر قوته على مواجهة الصعاب فأجاب:

هل شاهدت حجاراً يضرب الصخر بمطرقته ربّما مائة مرّة دون أن يبدو فيها أى كسر...

وفجأة وربما فى المرّة الواحدة بعـد المائـة ينشـطر الصـخر شطرين...

فليس من الضرورى أن تكون الضربة الأخيرة هى التى حققـت هذه النتيجة بل المائة التى سبقتها...

هذه حكم أعيش بها.

والضربات المتواصلة ولو بأصغر بلطة كفيلة بأن تحطّم أضـخم صنم.

- مناسبته إيه الكلام دا؟
- مناسبته إنى صابر وعمرى ما أيأس وكثير قوى فى الـدنيا دى عايشين فى وحدة، بس متعايشين، مش شرط يكونوا عايشـين، بس متعايشين... عشان كدا لازم تحمدى ربنا على إللى أنتـى فيه... صحتك وبيتك وعايشة فى جو صحّى، وحاولى تعملـى حاجة فى حياتك بدل القعدة دى... إنتى مش بتعرفى لغات؟
- أيوه.
- ترجمى وأنتى فى بيتك...
- قولى مثلت كام فيلم لحد دلوقتى.
- ٥٠ فيلم.
- برافـو.
- زى فيلم الإخوة الأعداء...
- أيوه...
- سيكون دراما برضه؟
- أيوه...

- نفسى أشوفك زى باتشينو ونيرو وبرافلك وراسل كرو
- إن شاء الله مع ويل ريموند... كلها أيام وأوصل لهدفى... أنـا عندى طموح كبير قوى يا نونو... ونفسى أوصل للعالمية لأنى ابتديت حياتى فى السينما العالمية مع المخرج الإيطالى روبرتو مونتيرو بس ما كانش معايا فلوس علشان أسافر للخارج وأمثل. دلوقتى الفرصة جت وحامسك فى إيدى ٢ مليون جنيه مصرى وساعتها حاعرف يعنى إيه تخطيط لمستقبلى وفى جو صحّى...
- يا سلام على الفلسفة...
- هذا ما أطبقه على جسمى الآن... فأنا كل يوم أشـحذ إرادتـى على مواصلة الكفاح والنضال ضد هذه السمنة المتوحشة التـى أرهلتنى. والحمد لله الآن... قلَّ النهجان... وهبط كرشى وبطنى المنتفخة للأمام...

دق جرس التليفون فقمت متلهفاً رافعا السماعة... كانت المتحدثة شيرى، قالت لى: محيى إلبس بسرعة عشان حورّيك حاجة عمرك ما شفتها وبعدها تودّع أهلك... دقيقة وحتلاقينى بالعربية... ولمـا كنـت مرتديا ملابسى... خرجت مسرعا فوجدتها... ركبت وطارت بعربتها بسرعة لم أعهدها فى حياتى وعندما نظرت لها كى تهدئ من سرعتها قالت لى: نام ولما نوصل للإمْبَيَرْستيت حصـحّيك. نـام... وبالفعـل نمت...

وفى مانهاتن رأيت الإمبيرسـتيت... تسـعين دور... مرتفعـة ومستقيمة وضخمة جدا من الداخل... ورفيعة جدا من الخارج... دخلنا ومعنا من البشر من كل الجنسيات فى نظام دقيق محكم، الكل يسـير

ببطيء ولا يلامس أحد أحد، والأسانسير يتسع لـــ ١٠٠ فرد، فى دقيقة يصعد بك الأسانسير التسعين دورا لتصبَّ هذه الأسانسيرات فى النهاية فى أعلا الإمْبَيرْستيت حيث تشاهد كل مدينة نيويورك وتزداد متعتك لو نظرت فى التلسكوب لتشاهد ناطحات سحاب تفوق خيـــال أى حـــالم يحلم.

ناطحات السحاب المهولة هذه تراها من أعلى، من كل الزوايـــا، وكأنها عيدان كبريت غرزت فى هندسة وتجانس ووحدة فنية تتوقــف عندها لغة الكلام...

وبينما نحن فى أعلى الإمْبَيَرْ ستيت نتجـــول ونـــرى الأنتيكـــات والتحف الأمريكية فى البوتيكات... دق موبايل شيرى وكان المتحدث سيدة أمريكية اسمها سلفانا... فقالت لى شيرى: واحدة اسمها سلفانا... أمريكية... تعرفها؟

– هاتى الموبيل...

أعطتنى الموبيل وهاتفتها فقالت لى: أنا مكلفة من طرف مخرجنا العظيم ويل ريموند بأن آخذك فى جولة فى أمريكـــا لالتقـــاط بعــض الصور الخاصة بك فى أماكن سياحية هنا... قبـــل ســـفرك لـــه فـــى كاليفورنيا... وهو الذى كلفنى أن أُحدّثك على هذه النمرة الخاصة بهذا الموبيل... وسوف ألتقى بك بعد ٧ أيام حتـــى أرســـل لـــه الصـــور سريعا... فأرجو أن تكون على استعداد... واسمح لى بالعنوان الـــذى تقيم فيه الآن، فجهّز ملابس للتصوير.

أعطيت شيرى الموبيل لكى تعطيها العنوان وخط السير ثم حددت الموعد الحادية عشرة صباح السبت القادم...

ولكن... لماذا لم يتصل بى فى خلال هذا الأسبوع كما وعـدنى وعهد بمهمة الاتصال لسلفانا؟ وما صلة سلفانا به... هو فى كاليفورنيا وهى فى نيويورك وبينهما مسافات؟ ما سر هذا المخرج الغامض؟... وأنا أعرف أن المواعيد هنا بدقة ولها احترامها... هل لأننـى ممثـل غير معروف بالنسبة لهم تكون هكذا المعاملة؟... ولكنى نجم فى بلدى وهو يعلم ذلك... فما هو سر هذا الرجل...

أخذنا الأسانسير وخرجنا من الإمبيرستيت بعد أن التقطـت لـى شيرى فيلما كاملا... ثم قالت لى:

– جعت؟

– جعت.

– صينى ولا أمريكانى ولا فرنساوى.

– فرنساوى.

وأكلنا أكلة قواقع محترمة بشوربة التوم... لا أنساها...

وانطلقت بنا المرسيدس وفى طريق العودة قالت:

– تعوم؟

– أعوم.

مررنا على المنزل وأخذنا المايوهات والكولمان الـذى يحـوى بعض المأكولات والمثلجات.

(٧)

انطلقنا وركبت معنا نونو متجهــين إلــى حمــام ســباحة فــى فــرچــينيا... وأنا أسائل نفسى: ليه الراجل المجنون دا مكلمنيش فى خلال أسبوع زى ما وعدنى... كدا بيضيّع علىّ أسبوع كمــان؟ ويــا ترى سلفانا دى كمان هتصدق وتيجى فى ميعادها هى كمان والا لأ... كان الحمَّام مليئا بالفاتنات.

وشد انتباهى بعض الفتيات والســيدات الأمريكيــات والرجــال والشباب وقد رسموا وشماً غريبا على أذرعهم وصدورهم وأفخــاذهم وظهورهم بشكل مقزّز يشوّه عطاء الخالق لهم من جمال...

لا أخفى عليكم أننى أتمتع بمهارات كثيرة كركوب الخيل والرماية والماراثون واليوجا والتحليل النفسى والتمثيل والكتابة والقراءة... لكنى لا أجيد السباحة...

قالت لى نونو: انزل ماتخافش... عندك السلالم آهى امسك فيهــا وانزل... وأكدت شيرى لى ذلك... وبدأت النزول مــن علــى الســلم الحديدى... لتحت فى الميه التى أخافها... المهم نزلــت... وغطتنــى المياه حتى صدرى... كنت خائفا ولكنى سعيد فى نفس الوقت فحولى الأطفال يسبحون كالسمك.

بوجود الأطفال بجانبى أحسست أننى فى حوض سمك وليس فى حمام سباحة، لا أخفى عليكم أحسست ببعض الأمان.

خلسة ومن وراء ظهرى رشتنى نونو وشــيرى بالميــاه حتــى يُجمّدوا لى قلبى... على حد قولهم... لكنى خفت أكثر وصرخت ممــا

جعلنى أتسلق السلم الحديدى فى مشقة وأصعد خارجا من المياه وأكتفى بالمشاهدة. وما إن ابتعدوا عنى حتى تسحبت خلسة من ورائهم ونزلت المياه مشجعا نفسى، ولكننى كنت أكثر دهاءً من ذكائهم فلقد وقفت بجانب السلم لأحتمى فيه ساعة الهجوم علىّ، بل أحسست أكثر بالأمان لوجود الأطفال بجانبى، وبما أنهما قد ابتعدا عنى بدأت أغطس فى مكانى ثم أقف على رجلىّ وأنا سعيد والأطفال سعداء يضحكون بما أفعل... وفى إحدى المرات عندما هممت بالغطس... كنت سأموت... فلقد نسيت أن أغلق فمى وأنفى... شهقت وقببت وصرخت... والتف حولى السابحات الأمريكيات والبنات والأطفال والشباب... ومصيبة كانت لو كنت مت قبل ما يتحقق حلمى فى كاليفورنيا كممثل عالمى.

لقد شاهدت فى هذه الدقيقة التى غطست فيها كل شريط حياتى أبيض وأسود وانعدمت الألوان منه... معقولة ح اموت فى شبر مية وأنا الذى كنت أمزح فى الطائرة وأقول يا سلام لو الطيارة النمساوية اللى أنا راكبها دى تقع وإخوتى يورثوا... أد إيه حكون سعيد... فالمبلغ ٢ مليون جنيه مصرى... هى دى الموتة الحلوة، إنما لو مت فى شوية مية ولا حيورثوا دولار واحد.

أخذنا العربة وعدنا للحى الذى نسكن فيه فى بنسلفانيا واستأذنتهم أن يتركونى بمفردى أتأمل الحديقة التى هى أمام البيت... استرخيت ونمت قليلا وأنا أحلم بموعد اللقاء مع سلفانا والتقطت يداى جريدة أمريكية يقول عنوانها الرئيسى (وفاة ١٨ أمريكيا بناموس مهاجر من السودان واسم هذه الحشرة West Nile virus.

يا نهار أسود لو تكون نهايتى هنا فى بلاد الشمال علـــى إيـــدين ناموسة... وانتابنى الذعر أكثر عندما علمت أننا على بعد ٢ كيلو من منطقة فيها مفاعل ذرى وزاد من رعبى أكثر عندما انطلقت عربـــات مطافئ منذ يومين قرب الفجر متجهة إلى المنطقة التى فيها المفاعـــل الذرى، فى هذه الليلة التى لم ينم فينا أحد... حتى أعلن التليفزيون أن المنطقة هادئة وليس هناك أى تسريب ذرى...

فجأة... امتدت يدى لكى أهرش فى قدمى هرشا استمر دقائق ثم استمرت الدقائق دقائق أكثر ثم انتقل الهرش لذراعى... فتركت الحديقة ودخلت الشقة وأنا أهرش...

وبعد يومين من الهرش المستمر صباحا ومساء وأنا أخفى الخبر عنهم فوجئوا بورم فى رجلى وذراعى... ونصحونى بأخذ زجـــاجتين فيهما الشفاء، زجاجة أدهن منها مكان الورم وزجاجة أرش ما بداخلها على الورم.

فى قدمى وذراعى... ولكن الهرش تحول لأكياس ناشفة مجلمزة واستقرت دون حراك أسفل قدمى وفى بطن ذراعى... وأخبرتهم بمـــا حدث لى بعد ساعات... شفتم النتيجة ففوجئت بهم أيضا عندهم مثل ما عندى... عندما مدوا لى أقدامهم المهروشة وأذرعتهم... لكنهم تعودوا ألا يتحدثوا فى مثل هذه الموضوعات الصغيرة... سألتهم إيه الحكايـــة بالضبط...

قالت نونو... اللى بيقرص دا اسمه Bug

- بق وإيه اللى جاب البق هنا.

- مش بق Bug

البج دا حشرة صغيرة أد الدبانة... تظهر فى المساء... المهم لما تقعد فى الجنينة تغطّى دراعاتك وتلبس شراباتك... وتـدهن دهاناتـك وترش رشاتك... ثم اجلس دون خوف... كما نصحونى.

– غطيت ذراعاتى ولبست شراباتى ودهنت دهانـاتى ورشـيت رشاتى... ثم خرجت للجنينة كى أجلس لأستمتع بهواية التأمـل التى أحبها من صغرى عندما أنظر فـى سـماء الله الصـافية وألوانها التى لم أشاهدها من قبل... مثلما أشاهدها من هنا...

وما إن جلست حتى بدأ الهرش ثانية فلماذا الهرش وأنا لم أر أى بجاية تقترب حتى الآن...

أنظر ما هذا الذى يبرق ثم يختفى... دققت النظر فوجدت حشرة صغيرة غير مرئية... ضعف حجم الناموسة... لها ذيل يضـئ لونـا أصفر للحظات ثم ينطفىء... ظللت أراقبها ولا أصدق... ربما أحلم... معقول؟ عينىّ آهى مفنجلة... لكنى خفت أن تكون هى الناموسة القاتلة والتى يعلنون عنها... فقمت مذعورا داخلا الشقة...

وما إن أغلقت الباب حتى سمعت نونو تصرخ بأعلى صوتها مما جعل شيرى النائمة تهب مذعورة.

– مالك يا ماما.

– الحقى يا شيرى الـ Bug فيه بجاية على الحيطة...

استلّيت شبشبا وأنا أجرى على صوت نهلة... ومـا إن رأيـت البجّاية حتى قتلتها بالشبشب... يا سبحان الله هذه الحشـرة الصـغيرة تحدث كل هذا النكد والورم والتشوه فى الجسم...

هدأت نونو ولمَّت نفسها... وقالت فيه حشرة أو الناموسة ديلها بينوَّر بالليل ويطفئ شفتوها... دى حشرة أنثى، من ديلها اللّى بينوَّر الدَّكر يعرف مكانها... يا تلحقها يا دكر... يا غيرك يلطشها منك...

فضحكت على ما تقول... مندهشا... ثم سألت شيرى: كلام ماما صح؟... قالت شيرى: فى التليفزيون فى القناة الخاصة بالحشرات حتشوف بنفسك اللى قالته ماما...

– معقولة حشرة أنثى بتنور بالليل عشان تغوى الرجالة الذكور.

دخلت حجرتى ونمت وأنا أحلم باقتراب المسافات وأنه قد حان موعد السفر لويل ريموند الذى عطلّته الحادثة...

كم أنا مشفق عليه... نحن الفنانين نبتسم دائماً ونحن مجروحون من الداخل ولكن الناس يريدوننا دائماً مبتسمين فليس لهم دخل فيما بداخلنا من آلام...

لم أكن أتصوّر أن يحدث لى كل هذا بسبب طموح خَطَّطتُه جيدا مع هذا الريموند، ولم أكن أتصور أن أعيش فى أسرة أعرفهم جيدا من القاهرة، لأجدهم فى أمريكا وقد أجبرتهم الظروف التى يعيشونها أن يتغيروا، ومن ومنا يعرف أين تذهب به الأقدار؟... من يدرى ماذا تخبئ لى الأيام...؟

هدأت نفسى تماما... وعادت لى ثقتى... فبينى وبين الـ ٢ مليون جنيه الذين انتظرهم فى كاليفورنيا ٦ ساعات سفر بالطائرة... وست ساعات سفر هنا بالنسبة للأمريكى... كالتهامه سندوتش هامبورجر... شيء لا يذكر... فالطائرة هنا يركبوها بالتشرت والكوتش... زى ما تقول مشوار صغير م الجيزة للمهندسين... فى

حين أنهم يذهبون بالطائرة من ولاية إلى ولاية أخرى... وهناك كمان فروق فى التوقيت بين بنسلفانيا وكاليفورنيا ثلاث ساعات...

سعادتى لا توصف وشهيتى مفتوحة اليوم للخروج بمفردى للتعرف على أمريكا...

ولكن الوقت يمر بثقل ولكاعة لم أعهدها فى حياتى... ويطول اليوم طولاً لا أستطيع وصفه رغم إحساسى أن الزمن أصبح مُكثّفاً ويمّر سريعا فى القاهرة... إلا أنه هنا لا يمر، طويل وقاسى وممل ولا أعرف ماذا فعلت فى حياتى لكى أنال هذا الجزاء هنا فى هذا المكان البعيد الخالى من أى ونس وموّدة ولكنها أيام وتظهر النتيجة وعلىَّ أن أروّض نفسى كعهدى بها دائما على التحمل والصبر، وأن أتصالح مع نفسى ولا أرهقها وأسلّيها وأمتعها حتى ألتقى بسلفانا أو ريموند...

ولما كنت لشهور أرافق هذه الصحبة التى أعيش معهم فى تحركاتهم وسفرياتهم وخروجهم وشرائهم وارتيادهم شتى الأماكن المبهرة هنا فى أمريكا... فلقد اكتسبت منهم التجربة وذاكرت الأماكن جيدا... واكتسبت بعض المعلومات.

أخذت معى خريطة أمريكا وخط سير الطرق ومعى رخصتى الدولية فى القيادة ورقم الحى الذى نسكن فيه والكروت السيرسى الخاص بنقودى التى لى فى القاهرة... ومعى رقم موبايل مهران ورقم موبايل شيرى... ورقم موبايل سلفانا والباسبور... ولقد استعرت موبايل شيرى لأى اتصالات قد تخطر على بالى وأنا فى الطريق أو أى اتصال مفاجئ لى...

(٨)

ركبت سيارة مهران المرسيدس... وخرجت من الحى الذى أقيم فيه منطلقا لكى أتعرف على هذه القارة والتى أدهشت الدنيا بأسرها... فهاهى النباتات الكثيفة الطويلة الفارعة الفارهة الخضراء على جانبى الطريق... كثيفة كثافة ما بعدها كثافة... وممتده طولا وعرضا وعمقا... ولا يستطيع أى كاتب فى العالم مهما أوتى من بلاغة وصياغة أن يصف هذه النعمة الربانية التى أنعم بها الله على أمريكا...

ما كل هذا الخضار الذى لو وزع على الدنيا بأسرها لتم نقاء البيئة التى هى مشكلة العالم الآن... فالهواء هنا نقى وفى شهر سبتمبر هذا... أرتدى التشرت والشورت والكوتشى... ولا أرتدى الفانلة الداخلية لا أنا ولا كل الأمريكان... فهواء أمريكا علاج لى ولضيق التنفس الذى أعانيه من هواء القاهرة الملوث بالرصاص...

بنسلفانيا هذه المدينة الصامتة الهادئة والتى ينام سكانها فى العاشرة مساء... ويدخلون منازلهم فى الثامنة مساء... ولا خروج بعد ذلك ولا نفس ماشى تلاقيه فى الشارع... هذه المدينة الراقية الشحيحة العرب والمصريين... فمعظمها من جنسيات أجنبية مختلفة وأمريكان ويهود...

فهى أول مدينة بنيت فى قارة أمريكا التى تتكوّن من ٥١ ولاية وقد بناها وليم بن الإنجليزى... فلقد كانت الحكومة الأمريكية مديونة له وهى تحت الاحتلال الإنجليزى... وسوّيت المديونية بأن أعطوا له ولاية بنسلفانيا رداً لدينهم الذى كان كثيرا...

وأسوق لك معلومة من ضمن معلوماتى وتأملاتى وبحثى وتنقيبى... وأنا فى طريقى لإحدى الأماكن التى سأصل إليها... بعد قليل (هنا فى أميركا تتعايش كل الجنسيات والكل يخضع لقانونها لا يهم لونك أو ديانتك أو أصلك أو جنسيتك... فأمريكا هى دولة كل المهاجرين من كل الدنيا مهما اختلفت لغاتهم... ما يهم أمريكا هو أن تعمل (العمل هنا عبادة ومقدس)... واحترامك للقوانين الملزمة والإنسانية ودفعك للضرائب... التى هى شرايين الدولة تجعلك تعيش فى سعادة وأمان...

فالدولة هى القلب الذى ينبض باستمرار مادام الدولار يغذى الدم المتدفق فى شرايينها... لأن قلب أمريكا ليس على استعداد أن تتوقف نبضاته فهو قلب شره وطموح للغاية ومحب للحياة قوى ومغامر ولا يحب – مهما كانت المصائب والصدمات – أن تضعف العضلة فيه...

وبمناسبة القلب تذكرت قصة صغيرة عن كلب جميل هنا وأنا أزور إحدى البيوت الأمريكية فى مانهاتن... جيمى... هذا كلب ألمانى ماركة روودفايلر يرتدى طوقاً فى رقبته ثمنه ٣٠٠٠ دولار.

الأسرة هنا تعشقه عشقا ويتنافسون فى حبه... فهذا يهيئ له البانيو لكى يستحم... وهذا يحضر له غذاءه الخاص... ويركع على قدميه ويؤكله بالشوكة والملعقة والسكين... وهذه تسرح له شعره وتضع له أرقى البارفانات الكلبيَّة... وجيمى هو أيضا ككلب يبادلهم نفس الشعور ويدخل السعادة على هذه الأسرة المحظوظة بتواجده بينهم.

وفى يوم من الأيام خرج جيمى برفقة ريتا الجميلة وهى إحدى أفراد هذه الأسرة السعيدة التى يعيش جيمى بينهم لتفسحه وليقضى حاجته وهى تحمل له حاجياته... المقشة المخصصة لقضاء حاجاته... والكيس النايلون الذى تضع فيه هذه الحاجة... وبينما هو يقضى حاجته شد السلسلة وخرج عن طوقه مهرولا فهرولت وراءه كى يعود لطوقه... ولكن للأسف صدمته عربة جيب... والتفت الأسرة المكلومة بكاملها حوله واستدعوا الطبيب واستعاد جيمى قواه... وتعرف بعد أن فاق من غيبوبته على ريتا وميلين وفيفيان وستيفان الأسرة التى تحتويه... ونصحهم الطبيب بأن يأخذ راحة ليخرج من الصدمة التى لحقت به... وكتب لهم روشتة العلاج... وبالفعل تم اختيار الوليفة التى تناسبه... وتم الاتصال بصاحبة هذه الوليفة التى تبحث لكلبتها عن وليف هى أيضا وكانت مشكا هى الكلبة التى من نصيب جيمى...

وصلت إيفا صاحبة الكلبة المنشودة الوليفة لتلقى بالكلب جيمى المكتئب فى إحدى الفنادق المخصصة للكلاب هنا فى العاشرة صباحا ويتم التعارف بين الأسرتين والكلبين، ويتم حجز حُجرة لهما، وتجلس الأسرتان فى الرسبشن حتى يتم المراد...

وفى الساعة السادسة مساءً... يدفع ستيفان... رب أسرة العريس جيمى ٣٠٠٠ دولار حجز الحجرة والإشراف والكشف وروشتة الفيتامينات... وحبوب الضحك التى تسبب له النشوة... والألعاب التى سترافقه والحقن المقوية التى أخذها... والطعام الذى قدم له والمشروبات والزى الذى ارتداه + ١٠٠٠ دولار مدفوعة بدون وصل ليد إيفا ثمن تأجير كلبها الذى أسعف جيمى...

ويخرج جيمى فى السادسة مساءً ليجد الأسرة التى عادت إليها سعادتها فى انتظاره وقد استرد صحته تماما وارتدى طوقه وبكت ريتا وهى تحتضنه وتقبله من فمه وهو يلعقها بلسانه بعد أن دفعت غرامة ٥٠٠ دولار ثمنا لخطئها وخروج جيمى من الطوق.

نسيت أن أقول لكم من يترك كلبه يتبرز فى الشارع فهو ملزم بدفع غرامة... ومن يعترض أو يخالف القانون يقدم للمحاكمة وقد يصل الأمر للسجن وقضاء العقوبة...

الكلاب هنا يسمونها my baby يعنى ابنهم... فالكلب هنا يعتبر ابنهم...

ها قد وصلت فهذا هو المكان الذى أريده vally vorge الوادى الذى دارت فيه الحرب بين جورج واشنطن والإنجليز وانتصر فيه الأمريكان وتم تحويله من ساحة حرب لجنة من الغابات والأشجار الممتدة... وشقُّوا فيه الطرق الطويلة والممتدة... والتى أصبحت مكانا يتريض فيه الأمريكان وتجرى فيه العربات فى خفة ورشاقة...

فالأسفلت هنا لو لحسته بلسانك فلن يتسخ لسانك من شدة نظافته... أوقفت العربة... وبدأت الجرى والتريض مع مئات الأمريكان والأمريكيات شبابا ونساءً وبناتٍ... فى هذا المكان الرائع والذى كان من قبل مخابئ وترسانات للمحاربين... فى حرب استمرت عاما كاملا...

انتهيت من تمرينى اليومى والذى اخترت له هذا المكان التاريخى اليوم وركبت العربة... ولقد لفت نظرى ظاهرة الحلقان التى يلبسها الرجال والنساء فى أماكن غريبة.

ويقولون هنا من يلبس حلقا فى الأذن اليمنى فهو موضة... أمـــا من يلبسه فى أذنه اليسرى فهو gay يعنى شاذ جنسيا (متعاص راجل).

فما بالك ببنات ونساء يضعن الحلقان فى حلمات أثدائهن... طيب تقول إيه على من تضع خرزة مثبتة فى منتصف لسانها وتتباهى بهـــا وتبرز لك لسانها كثيرا عندما تضـــحك حتـــى تســـتعرض خرزتهـــا المغروزة فى هذا المكان الطرى والحساس...

والا اللّى شِفّتها السفلى غرزت فى منتصفها حلقا... بالله علـــيكم كيف تأكل وكيف تُقبّل... جنون ما بعده جنون... واستخفاف ما بعـــده استخفاف...

وُول مارت... ومارشال... ودِرْجْ إمبريم – وواوا... وجانيت... وجوناردز... أسواق لم أشاهدها من قبل مع الشلة التى أقـــيم معهـــم واليوم أدخلها بمفردى...

إنها ليست بأسواق ولكن قل ميادين سياحية على شـــكل أســـواق فالمولات هنا أسواق سياحية... ومع كل جنسيات الدنيا هنا أسير معهم فالمول أو السيل أو السوبر ماركت طويل جدا وعريض جدا ومـــريح جدا وملىء بالعز. فأسواق أمريكا هنا كلها عز طافح... طفح ما بعده طفح...

كل شىء تجده أمامك ولا يوجد من يبيع لك، فأنت الذى تشترى بنفسك كل شىء وعندك مئات العلامات التى تدلك على ما تريد فـــى نظام دقيق وسهل للغاية وتحـــسّ بالنشـــوة وأنـــت تشـــترى فأمامـــك الملابس... وهذه شرائط الفيديو... وهذه هى الأدوية والفاكهة وأدوات المكياج والأجهزة الرياضية والأحذية والكتب والسجاجيد والحلويـــات

والنظارات... والأشجار والتحف والمراتب والأنتريهات ومطاعم زى ما أنت عايز... ومئات الأصناف من الأكل المطهى واللعب المثيـــرة والغريبة...

اليوم أحسست بالجوع بعد تمرين الرياضة الشاق هذا... وكـــان علىَّ أن آكل داخل هذا السوق السياحى العالمى الذى أنا فيـــه واســـمه (giant).

وبينما أنا آكل وجدت أمامى أسرة أمريكية مكونة من أربعة كـــل واحد يزن من ١٥٠ إلى ٢٢٥ كيلو... فهم يعشقون الأكـــل... وإحنـــا كمصريين ولا حاجة جنبهم... وأصبت بفزع من هول هذه الأطبـــاق الكبيرة التى توضع أمامهم وهذا العلو فى الطبق لم أشاهده من قبـــل، حتى طبق السلطة الذى أراه بجانبى عجيب وغريب... سأصـــفه لـــك وبدقة وعينى على الطبق (خد عندك) جبنة بيضة... جبنـــة شـــيدر... جبنة صفرة... جبنة حمرة... زبدة... كرفس... بقـــدونس... فجـــل أحمر... جرجير... أنشوجة... ليمون... جمبرى صغير... برتقال... بيض... ترمس... فاصوليا حمرا... خيـــار... قوطـــه... خـــص... مستردة... كارى... خبز... جنزبيل وبروكلى أخضر...

وإيه دا كمان مش ممكن أربع أطباق حلويات وعلى رأى شيرى (ودَّع أهلك) والطبق اسمه The original frait flower bouquets كل أنواع الفاكهة المحشوة بالشيكولاتة الغربية والكريمات والمـــارون جلاسيه والفستق وعين الجمل والأراسيا والكريب سوسيت...

طب أقولك إيه بقى عن أكواب البيبسى الضخمة والطويلة جـدا والمغروس فى وسط كل واحدة شفاط طويل عريض عشان يشفطوا... بعد ما يتمرَّغوا فى الأكل...

مرت يدى على البانفليت المكتوب فيه المأكولات وأسـعارها... إيه الجمال دا... معقولة بانفليت... دا كتاب ممتع، مش بانفليت كلـه، إعلانات مثيرة ومرسومة بألوان غاية فـى السـخونة عـن الأزيـاء والكمبيوترات والأحذية وأسعار الشقق والفلـل والخـواتم السـوليتير والكلاب المفضلة مع برجك والعربات والماكياج والوشـم وأسـعاره وأكل الكلاب والفيران البيضـاء وعنـاوين المحـامين والأطبـاء... فالمحامى والطبيب هنا يأخذون أعلى الأسعار...

والعجيب فى البانفليت إعلان عن مطعم أمريكى فخم فى فيلادلفيا ويقولون فى الإعلان إذا أردت أن تأكل أكلة العمر لتصـبح ذكـرى تكتبها فى مذكراتك فعليك بمطعـم... The cheese cake factory فأسعارنا تبدأ من ٢٠٠ دولار إلى ٥٠٠ دولار للفرد الواحد... وهـو يقدم وجبه واحدة فقط فى اليوم وهى الغداء... والمطعم يحوى ١٠٠٠ كرسى وطوله ٢٠٠٠ متر.

المشى هنا متعة فالشوارع طويلة طـولا مـا بعـده طـول... والمولات طرقاتها مثل الشوارع طويلة وممتدة... مما يساعدنى على مواصلة الريجيم والمشى باستمرار لأن كل ما حولك متعة فى متعة...

خرجت من المول بعد أن تناولت غذائى كى أتمشى قرب إحدى الأحياء المجاورة فشاهدت عربة حديدية كبيرة جدا وضخمة وعاليـة الارتفاع... فما هى قصتها؟

هى عربة تخفى فى باطنها خطافين حديديين مقوسين وكبيـــرين كنابى الفيل يتسللان ببطء متجهين قبالة صـــناديق الزبالـــة الحديديـــة الكبيرة الحجم والمثبتة على الأرض... ويدخل هذان النابان فى مجرى جانبى الصندوق حتى يتمكنا منه تماما وتبدأ عملية رفع هذا الصندوق الضخم المعبأ بأكياس الزبالة مرتفعا إلى أعلى ثم أعلى حيث يتم فــتح الصندوق وقلبه وإفراغ ما فيه كاملا داخل تجويف العربة الحديدية ثم يعلق الصندوق ويعود ببطء إلى مكانه ثم يتم سحب الخطافين الحديديين ليتوجها إلى الصندوق الثانى ثم الثالث... وبعد أن تنتهى مهمة تفريـــغ الزبالة بهذه الطريقة الآلية دون وجود بشر سوى السائق فقط... وليس معه مساعد... تنطلق العربة لحال سبيلها...

إيه اللى ممكن نقوله دلوقتى... جاتنا نيلة فى حظنا الهباب...

المكان الذى أتوجه إليه الآن هى صناديق الجرائد... الجرائد كلها فى صناديق حديدية وكل ولاية لها جرائدها... فولاية بنسلفانيا يصدر فيها يوميا ١٠ جرائد... وما عليك إلا أن تضـــع ربـــع دولار ثمنـــا للجريدة التى تريدها وتكبس زرارا لتخرج لك الجريدة... يعنى قـــارة أمريكا وعاصمتها واشنطن تصدر ٥٢٠ جريدة يوميا... فى الـــ ٥١ ولاية والتى يحكمها حاكم واحد هو بوش الابن...

وإليك بعض ما تكتبه الجرائد هنا:

- زواج عريسين اليوم فى صفيحة زبالة... وفى الزبالـــة ســـيتم العرس إذا أردت أن تشاهد فتوجه إلى هذا المكان...
- تم إنزال القطة فيكس من الدور السبعين دون إصـــابات حيـــث توجهت لها عربتا مطافئ وإسعاف وحضر هذا الإنزال ٣٠٠٠

شخص وتم تسليمها لروزيتا صاحبتها التى أفاقت من الصدمة بعد أن تسلمت قطتها الطائشة...

- مركز دراسات الهجرة بواشنطن يؤكد أن عرب أمريكا هم الأكثر ثقافة. فنصف المهاجرين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٤ و٤٦ سنة تلقوا دراسة جامعية هذا بمقارنتهم بالمواطنين الأمريكيين فى نفس فئة العمر... وإن القادمين من الشرق الأوسط بدأوا فى الهجرة للولايات المتحدة الأمريكية منذ ما يزيد عن مائة سنة... وقد اختاروا عام ١٩٧٠ ليكون نقطة البداية للدراسة لأنه العام الذى أجرى فيه أول احصاء بعد صدور قانون الهجرة لعام ١٩٦٥...

ويقول ستيفن كاماروتا واضع التقرير إن الاهتمام بالهجرة للولايات المتحدة لا يزال كبيرا فى جميع أنحاء الشرق الأوسط حتى بعد الحادى عشر من سبتمبر...

وإن الأغلبية الساحقة من المهاجرين الحاليين من الشرق الأوسط هم من المسلمين... وكان المهاجرون الذين وصلوا فى أواخر القرن ١٩ وأوائل العشرين من الموارنة والمسيحيين الأرمن والأقليات اليهودية القادمين من دول إسلامية...

وإن الرجال المهاجرين من الشرق الأوسط والذين تتراوح أعمارهم ما بين ٣٠ و٥٠ سنة يحصلون على متوسط دخل مماثل للمواطنين الأمريكيين... وكانت معدلات المهن الحرة بين المهاجرين من الشرق الأوسط أعلى من مثيلاتها بين المواطنين الأمريكيين أو المهاجرين عموما من جنسيات أخرى...

وقد يكون تقليص الهجرة معقولا لكن يجب أن يطبق بإنصاف على جميع الفئات... ويجب تطبيق قوانين الهجرة على جميع الأشخاص بشكل متساو وليس على القادمين من جزء معين من العالم فقط.

يقول أحد العناوين فى الصحف الأمريكية، فى السابعة مساء يواصل التليفزيون الأمريكى محاكمة طفل فلوريدا ١٢ عاما ألكسى كنج المتهم بقتل والده بعصا هوكى بمساعدة أخيه ١٤ عاما وذلك لأن أباهم اكتشف أن ولديه مصابان بالشذوذ الجنسى مع صديق والده، وعندما اكتشف الأب ذلك فى ولديه قام ألكسى كنج بقتل والده وهو نائم... واليوم وبعد أسبوع من المحاكمة على شاشة التليفزيون وفى السابعة مساء ستصدر القاضية الحكم على الجانى ألكس كينج...

لقد تعلمنا أن الحرية تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين... فأنت حر ما لم تضر... أما التحرر فهو كل شىء يخرج عن المألوف بوقاحة... ولقد ميز الله الإنسان عن سائر مخلوقاته بالعقل وتحضره...

فهناك برامج عن الأبناء الذين يفاجئون بعد سنوات عمرهم بأن آباءهم ليسوا بآبائهم... وأن هذه الأم ليست أمهم... وتكون الصدمة مجسدة أمامك على الشاشة حيث الكل يعترف وينكشف السر الدفين...

وهذا برنامج ساخن جدا يقدمه هوازد ستيرن عن الأمهات التى تساحق بناتها وتدافع الأم أمامك على الشاشة وكذلك البنت تدافع عن أمها وشذوذها... وهكذا تسقط الأمومة من على عرشها...

وهذا شاب متزوج وعنده ٣ أولاد أتى ليعترف أنه يخون زوجته مع اثنتين ويأتون بالزوجة ليعترف الشاب أمامها وهى لا تعترف...

ويأتون بالاثنتين الأخريين اللتين يباشرهما فيدخلان فى زهو ويقبلانه وترى الزوجة هذا المنظر وهات يا ضرب وقد وقف رجل بوليس طويل عريض ليفك الاشتباك...

وهذا برنامج وهو عن امرأة تشرح فى سعادة للمذيع عن عملية أجرتها فى شفتى الـ vaging لتصغيرهما كى ترضى حبيبها... ويسألها المذيع اشرحى لنا الآن كيف تتم العملية بينكما بعد أن تم تصغير المشفرين... وتشرح فى بساطة ووقاحة وإباحية وكأنها تشرح لك درسا يفيدك فى محو الأمية...

إن الديمقراطية والحرية والتحرر هنا على أشدها فالإنسان هنا بالديمقراطية يصبح رب أفعاله وصانع مصيره... فهذه فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرها رائعة الجمال أيضا... وهذه قائمة كبيرة تحوى ١٠٠٠ رجل وامرأة وشباب وبنات وأطفال من الجنسين جاءوا ليشاهدوا هذا الزواج الذى سيتم الآن أمامكم وعلى شاشة التليفزيون ويشاهده الملايين فى كل الدنيا...

حيث تتقدم امرأة ذات هيبة واحترام ووقار تشبه المأذون عندنا لتوثيق هذا الزواج الشرعى بين البنتين اللتين ستتزوجان الآن...

ويصفق الموجودون فى القاعة بشدة وحماس وحرارة. ومن شدة الحماس خرج هبو صهد التصفيق لى وجهى حتى تصبب فزعا من هول ما أشاهد حيث تردد العروسة:

سأجعلك تعيش معى فى سعادة...

والعريس الأنثى يقول لها وأنا سأسعدك مدى العمر.

وبالتالى تم تحديد من الذكر ومن الأنثى...

ويقبلان بعضهما فى عنف وتأجج ويغيبان عن الـــوعى والكـــل يصفق وخاصة والد ووالدة العريس ووالد ووالدة العروسة ويبدأ كـــل الحاضرين فى الرقص معهما تأكيدا وتتويجا لعلـــم مبـــادئ الشـــذوذ الجنسى... الموثق شرعا وعلانية أمام العـــالم ويبـــث مـــن خـــلال الشاشات...

ويتم إذاعة هذا العرس طوال الأسبوع عشان اللـــى ماشافشـــى يشوف... واللى شاف يقول للى ماشفش... لحد ما يشوف...

(٩)

توقفت بى المرسيدس الزرقاء أمام سوبر ماركت طويل وعريض لأشرطة الفيديو... لأرى ما لم تره عينى من قبل... أشرطة فيديو عن النباتات والحيوانـــات والأطفـــال والموســـيقى والرســـوم المتحركـــة والجرافيك... ولكن هالنى هذه الكمية من الأفلام... وهذا كتيب عـــن عددها ٢٥٠٠٠٠ شريط فيديو... فى صالة ممتدة امتداداً تتوه فيـــه... وتأمل كما تشاء... وَهَيَّص... وسألت: أين القسم الخـــاص بشـــرائط السينما... فقالت لى إحدى المسئولات الجميلات... هناك...

وبدأت أبحث عن فيلم Beautiful Mind لراسل كرو... وكنت قد شاهدته على شاشة التليفزيون... واليوم أريد شراءه...

وبينما أنا أبحث عن فيلم جيم كارى... وجيف دانلـــز... الغبـــى والأغبى... تعبت فى العثور عليه فقلت بصوت عال... أين فيلم رمْب رمْبَر... فقالت لى فتاة أمريكية جميلة فى السادسة عشرة من عمرهـــا

ابحث عن الجديد... هل شاهدت دزلى واشنطن... وفرى مورجان... وويسلى سنيبس... ودانى جلوفر... هؤلاء السود العظام...

سوف اشترى أفلاما لنيرو... وأودى مـــورفى... وســـيجال... وباتشينو... وهوفمان... وساندرا لوك... ومورجان... وسوف أشاهد قريبا مسرحية القطط cats فى مسرح ميريام ثيســـتر بـــرودواى... والبؤساء والمسيح، أرقى النجوم وايفيتا...

- لقد مللنا كل هذه الأفلام... وعليك أن تتعرف على الجديد.
- وما هو الجديد؟
- هذا هو أول شريط سينمائى طويل بالكمبيوتر... وليس بالرسوم المتحركة...

وهذا فيلم لويل سميث...

وهذا فيلم لبروس ويلز...

وهذا فيلم لروبين ويليامز...

وهذا فيلم لهاريسون فورد...

وهذا فيلم لبراد بيت وجولى روبرتز...

وأشترى هذا الفيلم لراسل كرووميج ريان

وهذا فيلم رائع لستيف مارتن... وهذا فيلم جميل ليتم ألن

وهذا فيلم لينكولاس كيج وبريد حتافوندا

وفيلم جنيفر لوبيز... والتى أمنت على مؤخرتها بمليار دولار...

وإذا كنت مازلت تحب توم هانكز فاشتر له هذا الفـــيلم... الـــذى يمثله مع ميج ريان...

وهذا فيلم لآدم ساندلر...

وهذا فيلم للكوميدى رودنى رانجر فيلد...

وهذا فيلم لمايكل وجلاس... وانيت بينج...

ثم قالت: أنا عن نفسى... مللت كل شيء هنا فى أمريكا... اسمى ليزا أمريكية...

- وأنا محيى، مصرى الجنسية Actor... ممثل...

- أنصحك مادمت ممثلا أن تشاهد هذا الفيلم أكثر من مرة Changing lanes "تغيير المسار" لينْ أفلك... وصاموبل ماكسون... وفيلم الراهبة... لووبر هذه النجمة السوداء الحاصلة على جائزة الأوسكار... ثم أضافت: وعندما تشاهد فيلم تغيير المسار راقب جيدا الممثل الأسود... والذى تعدى السبعين... صامويل جاكسون لترى كيف يكون فن التمثيل... ولأنك أبيض... فتَعلَّم كيف يكون الإبداع من بينْ أفلك.

اشتريت كل هذه الأفلام... وشكرتها وانصرفت... حتى لا أزيدها مَلَلاً، لم أكد أعلم أن هناك أكثر من قناة للأفلام العالمية هنا... حتى جلست أمام شاشات التليفزيون الأمريكى وشاهدت ما لم أشاهده من قبل من أفلام... فالتليفزيون الأمريكى فى أفلامه ممتع ممتع ممتع ويعلمك ويثقفك ويجذبك لشاشته جذبا ولا تستطيع أن تقاوم الجلوس.

لماذا الملل يا أختى ليزا برغم أن كل خيرات الدنيا وتسهيل الحياة هنا... والحرية والفرص. أعتقد أنه الزهق من الشبع... لقد شَبعَتْ وبَسرْعة فكل شيء أمامها سهل ولقد استنفذت لذة الشبع... لأنها أخذت كل شيء وبسرعة فى هذه السن الصغيرة ولَمْ تُعان لتعرف لغز

الحياة... ولم تُحرم من شيء لكي تصل إليه ببطء بالإرادة والسعي والمثابرة...

لقد لخصوا لها الزمن وكثفوه في جرعة واحدة وضغطوه لها في كبسولة جميلة... ومن شدة الشبع وهذا العز الطافح أصبح البحث عن اللامعقول في الاستخفاف بالإنسان وقيمته... وتحرير جسده... وتبرير العبث بالحلقان والوشم والخرز والسحاق والشذوذ والعري ثم تحويل هذا التبرير لميزة بعد أن تمّت مَنْطَقَتُه ليتقبله المجتمع...

اقتناؤك للعربة والزوجة أهم شيئين هنا في أمريكا... وإلاّ ستعاني الوحدة وأي وحدة... قل العزلة وأي عزلة... إنها عزلة ما بعدها عزلة إنه الموت السريع... فالأمريكي شخصية مبرمجة ولا يحب الاندماج... ولا أخفي عليك... هناك فرق كبير بين أمريكا وأوربا.

نظام الخدم داخل المنازل غير موجود وعليك أن تخدم نفسك بنفسك وتشتري حاجياتك بنفسك... وتعود مُرْهَقاً فهم يعشقون الأسواق والأكل فيها، لأنهم مُسْتَهْلَكُون بعد العمل ولا توجد الطاقة energy لكي يطبخوا ويغسلوا وينظفوا المنزل ويشرفوا على الأطفال... ثم أن الوقت لا يسعفهم، لذلك تجد هنا الصيدلية بها من الداخل مطاعم تقدم مختلف الأكلات السريعة... تساوت المرأة بالرجل في كل شيء، فهنا المرأة تقود الطائرة وتحارب، وقاضية ولها سلطات أقوى من الرجل، وتطلقك في دقيقة... العقل هنا هو كل شيء، فالمشاعر جافة. وإذا كان ولابد منها فإن لها حسابات دقيقة... إذاً من أين يأتي الحنان والدفء

ورقة المشاعر؟... من الكلاب والقطط والفئران البيضاء والأطفال... ذلك لأنهم يعطون ولا يأخذون المقابل ولا يتحاورون...

هنا الأمريكان شكاكون فى كل شىء ويتسألون عن معنى كل كلمة وليه وعشان إيه... فالحوار معهم طويل جدا ويرهق الأعصاب، خاصة فيما يجهلونه عن الآخر حتى يتيقنوا من صحة ودقة المعلومات ولكنهم شديدو الاحترام لخصوصيات الآخرين.

وأنا أقود العربة أرى على جانبى الطريق مقابر الموتى، والمقابر هنا جميلة (وترد الروح) وكأنك فى مكان سياحى ملىء بالتحف... وعلى الجانب الآخر مقابر أكثر جمالا... إنها مقابر الكلاب... ولفت نظرى مقبرة جميلة فأوقفت العربة واتجهت للمقبرة كى أقرأ... قصة حياة هذا الكلب...

تشينو كلب دوبر ألمانى توفى فى عام ١٩٩٠ كان يعيش عن التاجر الأمريكى سلوفان والذى فضل أن يعيش مع الكلب تشينو بعد أن طلق زوجته ميلدا والتى كان يحس أنها رجل مثله من شدة الثقة بنفسها ومساواتها به فى كل شىء وفرض سلطتها عليه... فطلقها دون أن ينجب منها... ومات... وقبل أن يموت كتب كل ممتلكاته لتشينو ١٠ مليون دولار... ولكن تشينو لم يهنأ بهذا المبلغ فقد مات بعد بأسبوع حزنا عليه...

وأخذت الدولة كل ممتلكات الكلب لتصرفها بعد ذلك على مؤسسات رعاية الكلاب... فى كل بيت أمريكى كلب أو كلبان وادينى عقلك واحسب، ذلك لأن الكلاب هى الأكثر بهجة... والكلاب... تعطيك القبلات...

والكلاب لا تشكو أبدا من تركها وحدها...
والكلاب تعرف كيف تأخذ الأمور ببساطة...
والكلاب تجعلك تشعر بأنك أهم شخص فى العالم...
والكلاب لا تريد إلا أن تحبها...
والكلاب أحسن صديق للإنسان...
والكلاب تسعد دائما عندما تراك عائدا للمنزل...

والكلاب ممكن أن تكون أبطالا... وهى دائما راضية لا تعرف الطمع... تفكر بهدوء، ذلك لأن لها شواطئ تستحم فيها وتخرج من المياه مستلقية على رمال الشاطئ مسترخية نائمة حالمة فى هدوء وهى تنظر لوليفتها فى حب...

الكلاب تحبك أيا كنت... رأيت فى أمريكا أجمل كلب Shish Tza ذا الشعر الطويل والكوكر ذا اللون الذهبى والبنكواه الأقزام، وأضخم كلب فى العالم وهو الماستيف نابوليتان والروود فايلر الألمانى كلب الحراسة الشرس وكلب سانت بيرنارد الأبيض والوولف بلاك جاك والجريفون والبوكسر وكلب الجيب pocket dog والجرمان شيبرد.

ولا أنسى الكلب الصينى النادر صغير الحجم وأصله من التبت وهو مطيع وهادئ ويحب الأطفال ولونه ذهبى عيار ٢٨...

Dogs are Cheerer – uppers.
Dogs love sticking their
heads out car windows. Dogs
give you wet, sloppy kisses.

Dogs are cheerer-uppers. Dogs love sticking their heads out car windows. Dogs give you wet, sloppy kisses. Dogs never complain about leftovers. Dogs know how to take it easy. Dogs make you feel like the most important person in the world. Dogs just want to be loved. Dogs are man's best friend and a fire hydrant's worst enemy. Dogs are always glad to see you come home. Dogs get thirsty every time they see a toilet bowl. Dogs like to have their bellies scratched-- just like people. Dogs can be heroes. Dogs look at you with big, brown doggy-eyes. Dogs love you no matter what.

الدولة هنا هى الأب والأم والراعى الرسمى للجميع تشرف على كل الجنسيات وحتى أخذ حقوقهم من خلال قوانينها... الملزمة.

الاحترام هنا متبادل... وعلى الزوج أن يحترم زوجتـــه وابنتـــه وابنه... ولو اشتكى أحد فالدولة تتدخل لتوقف كُلاً عند حده... وتعاقب المخطئ... وفى الطلاق يقتسم الاثنان كل شىء... والأطفال ترعـــاهم الدولة... والبنك يصدر كروتا وهذه الكروت تسمح لك بالصرف فـــى

حدود تبدأ من ١٠٠٠ دولار حتى ٥٠٠٠ دولار... واشتر ما تريد فكل ما أنتجته البشرية وأى شيء تحلم به هنا فى أمريكا...

وتحاسب بنفسك من خلال ماكينات إلكترونية على ما اشتريته إذا أردت الماكينات فقط مرِّر الكارت الكريديت من أمامها، والرشوة هنا غير موجودة لأن هناك قانونا يحكم العلاقة بين الناس والسلطة...

التليفون هنا هو وسيلة اتصالك فى إنجاز كل ما تريده... ورقم ٩١١ لطلب أى مساعدة تصلك فى الحال وإنقاذك من أى ورطة... وحقوقك كإنسان مضمونة ولا تلاعب بها إطلاقا، فالذى يعمل ينعم ويسكن ويمتلك عربة وأنت مؤمَّن وآمن تماما... مادمت تسدد ضرائبك للدولة تسهل لك كل شيء ليعود عليك كل شيء بالرفاهية...

الشعب كله مبرمج وليس لديهم وقت للفسح سوى السبت والأحد. الاستيقاظ ٦ صباحا... العودة للمنزل ٤ بعد الظهر ثم الذهاب للأسواق والعودة من الأسواق بعد شراء احتياجاتك لطهى الطعام والإشراف على الأطفال ثم الأكل، وعندما تضع شريطا لمشاهدته أو تفتح التليفزيون يكون النوم قد دق بابك فى التاسعة مساءً لتنام... كى تستيقظ مبكراً فى السادسة موعد ذهابك للعمل المقدس...

(١٠)

دق جرس الباب... الكل يجرى ماذا حدث؟ نته تجرى وشيرى تجرى ومهران يجرى... فقمت واقفا سائلا: مالكم فيه إيه؟

فوجئت ببوس على الخدود وقبلات كثيرة... وهم يصيحون تعال يا محيى بسرعة... بسرعة...

قالت نونو: أقدملك... لورانزو... ماريانا... چـورچـيت...

وقدمتنى شيرى لهم قائلة:

أستاذ محيى إسماعيل movie ثم قـالتى لـى: لـورانزو زوج ماريانا وچـورچـيت أخت ماريانا الكبرى... وهم يونانيون...

فرحبوا بى وقد جحظت عيونهم عند سـماعهم كلمـة (movie) يعنى نجم...

وقفزت شيرى مخرجة الألبوم الذى يحوى صوراً تذكارية عـن أشهر أفلامى... انتهت چـورچـيت من فرّ الألبوم ثم قالت لى:

- لك وجه عالمى... لماذا لا تمثّل فى السينما العالمية...
- قلت لها: أنا عايش أصلّى فى مصر... أنا مصرى...
- كاليفورنيا جنبك آهى ٦ ساعات بالطيارة...
- أنا أتحدث الإنجليزية، لكنى لا أجيد التحدث بها بسـرعة مثـل الأمريكان.
- ستتعودها... خسارة ما تمثلشى مع العالميين. ياما سود ما حدش كان يسمع عنهم، دلوقت نجـوم ومكتسـحين البـيض: أورى مورفى وصمويل جاكسون... ووبى... مين كان يسمع عنها؟ واخده الأوسكار!... وكمان إنت طول بعرض ووشـك مُعبّـر جداً...

ثم قالت: أنا أعرف بعض شركات الإنتاج هناك ولـــى أصـــدقاء وصديقات... حَاولْ... وسرحت فيما قالت... كاليفورنيا... جـــاتلى ع الجرح ودى إش عَرَّفها إنى رايح كاليفورنيا...

قالت لها نته: ماهو رايح كاليفورنيا بعد أسبوعين...

فردت چـــورچـــيت: خلاص نســـافر ســـوا وأعرَّفـــه بواحـــدة صاحبتى هناك تستضيفه...

فقالت لى نته: بس يا عم خلاص فُرجَتْ...

فقلت لـــچـــورچـــيت باليونانية – ضمن إحدى الكلمـــات التـــى كنت أحفظها وأنا أمثل فيلما فى اليونان: كلا كلا يعنـــى أهـــلا أهـــلا باليونانية...

فقالت لى چـــورچـــيت: كَلا كَلا... بُولى كالا... يعنى أهلين... وسألتنى: أنت تتحدث اليونانية؟ فقلت لها: يدوبك كلا كلا وكلمة أخرى إڤ خرستى پـــولى... وأعرف شارع اسمه ميخالا كوبولى وبـــس... فضحكت بشدة...

انسلختُ منهم، فلقد كنت أفكر فى القادمة سلفانا والمخرج الـــذى أنتظره وينتظرنى، فاستأذنتهم وتوجهت لدورة المياه وأغلقـــت علـــى نفسى الباب جيداً وجلست على البيديه أفكّر بتركيز... محاوراً نفسى:

الفرصة آهى جاتلك وع الجاهز... وكمان واحدة حتوصلك لحـــد كاليفورنيا فما رأيك؟...

أكون أو لا أكون... فقلت لنفسى: تمهّل حتى تقابل سلفانا...

ونشب حوار فى داخلى:

هىّ سلفانا حتعملى إيه أكثر من إنها حتصورنى؟

بس الصور المخرج عاوزها...

صح...

طيب وبعدين...

وبعدين تخرج من الحمام وتروح تقعد مع وش السّعد اللى هَلّــت عليك... إنت مش وش نعمة وإلا إيه؟...

أيوه بس هنا الناس تتحدث عن الأشياء الهامة وكأنها أشياء عادية جداً.

فقلت لنفسى: صح، فهناك فروق فى المفاهيم الحضــارية بينــى كمصرى وبين يونانية أمريكية تعيش هنا فى الغرب منذ سنين... هناك فرق...

خرجت من الحمام وعدت لمكانى بينهم وأتت علب كبيرة فتحوها فكانت البيتسا ومكتوب على العلبة بتسا Diet ريجيم... وبدأوا يأكلون وبدأت ألتهم بيتستى، فلقد كانت رقيقة وحمراء ويغوص فيها الزيتــون الأسود...

وجاء موعد برنامج الفضائح المثيــر جـداً لمقدمــه چــيرى سبلنجر... ففتحوا التليفزيون لنشاهد. والمعروض أمامنا الآن لشــاب خان زوجته مع فتاة ستريب تيز، لأنه أحبها وطلبت منه أن يكون هو أيضاً مثلها... فوافق وجاء ليعترف بذلك لزوجتــه، وتــأتى الزوجــة أمامك على الشاشة، وبدأ الشاب فى الاعتراف، فقفزت زوجته لضربه، بينما هلّت علينا فتاة الاستريب تيز التى أحبها، وظل يقبلهــا وتقبلــه أمامنا وبلا رحمة وبدأت تخلع ملابسها، وعندما همّ هو بخلع ملابســه تدخل رجل الأمن الذى يُحَجِّز الخناق، وَوَلّعت، وهــات يــا صــراخ

وضرب وتشليق والجمهور يصفق مصدراً صوتاً واحــداً / whore whore (يعنى شرموطة) يقولونها لفتاة الاستريب تيز، بينما الزوجــة المخدوعة تقف فى ذهول بعد أن صرخت وبكت والمذيع فــى غايــة السعادة بما قدّمه لنا من دَنَس.

قلت معلقاً: إيه القذارة دى! وعلنا؟! ما هذه الــدروس المســتفادة التى يبثونها للملايين ويراها الصغار...

فردت ماريانا: عادى...

وعلق لورانزو زوجها: إنت أول مرة تشــوف البرنــامج دا؟... أمَّال مسارح البورنو هنا لما تشوفها حتقول إيه؟... هنا تتعرّى البشرية أمامك وبوضوح...

قالت چــورچــيت: محيى... عشان تكون فنان عظيم لازم تكبّر مخك...

چــورچــيت هذه ناصعة البياض رائعة الجمــال ذات عينــين خضراوين... فى الخمسين من عمرها...

كانت ننه ومهران وشيرى مازالوا يأكلون وهم يعلقون بقفشــات على هذا البرنامج... حيث قالت چــورچــيت لننــه: لــو ســمحتى عاوزاكى دقايق... قامت نونو واصطحبت چــورچــيت اليونانيــة داخل حجرتها وأغلقا الباب، بينما مهران وشيرى ولورانزو غطســوا فى مناقشة حامية فى السياسة وما يقوله بوش وتهديداتــه... فتركــت المناقشة واستأذنتهم ودخلت حجرتى... ومددت جسمى على الســرير واستلقيت على ظهرى وبدأت أفكر... ما هو القدر الذى ينتظرنى فــى رحلتى هذه المضبَّبة...

انتهت زيارة هذه الأسرة الجميلة اليونانية واشتركت فى وداعهم حتى سيارتهم حيث قالت چورچيت وهى تسلم علينا: محيى... أدعوك على فنجان قهوة... لو سمحت اتصل بى، تلفونى مع نهلة... فهززت رأسى دون أن أعرف ماذا حدث بينها وبين نهلة داخل الحجرة التى أغلق فيها الباب...

عدنا بسرعة وجلسنا نحن الأربعة كى أفهم ما المقصود بدعوتى على فنجان قهوة...

قال لى مهران: الست عاوزاك.

قالت ننّه: هى بتقول إنك مسيت أوتار قلبها وحتسافر معاك كاليفورنيا بعد أسبوعين وحتعرفك بشخصيات هامة فى كاليفورنيا...

قلت: وإيه بقى اللى هى عايزاه منى؟

رد مهران: حاجة قصاد حاجة ما تفهم يا أستاذ إزاى ممثل ومش فاهم...

هكذا بسهولة تطلب المرأة هنا رجلاً وعلناً وأمام مرأى ومسمع الجميع دون أن يكون بينهما أى مشاعر حب...

وعلقت شيرى: إنت إنسان عظيم، لأنك لو كنت وافقت كنت حتخسر كثير، إن المرأة لها سلطات على الرجل ويُوثق فى كلمتها فى المحاكم.

قالت نونو: (كازانوفا بنسلفانيا)... محيى إسماعيل... ممكن أعرف إيه بقى سر جاذبيتك؟...

فقلت مازحاً: لإننى مثل البيليكان

قالت لى شيرى: وماهو البيليكان هذا؟

– البيليكان يا شيرى هو طائر جميل يقدم الغذاء للصغار وعندما يجوع يُقطّعون منه الكبد وتنهش الصغار فيه تأكله... ويا نونو... على الإنسان أن يصد ولا يضرب فإذا ضرب لا يوجع وإذا أوجع لا يؤذى وإذا آذى لا يقتل.

قالت نونو: يا سلام ع الفلسفة...

– حاسس بخنقة...

– حاعملك كباية نعناع.

قامت نونو لتحضر لى كوب النعناع بينما السماء كانت مظلمة والبرد شديداً.

نظرت إلى خالق الكون أناجيه:

يارب غارت النجوم

وأنت حى قيوم

لا تأخذك سنة ولا نوم

اِهْدِ لَيْلِى وَأَنِمْ عينى

(١١)

أحسست أننى أريد أن أكون بمفردى فاستأذنتهم واستأذنت شيرى فى أخذ عربتها الكاديلاك قاصداً King of Brasha واشتريت ملابس للتصوير أشكالاً وألواناً وشتى الموديلات لأكون فى أبهى صورة بـ ٦ آلاف دولار أنفقتهم من أجل أن أكون فى أفخم صورة غير مسبوقة.

وأنا أتذكر أسرتى التى وحشتنى والمفاجأة التى أخفيها عنهم وسافرت من أجلها وهى إسعادهم بالـ ٢ مليون جنيه التى ستُصلّح من أمور كثيرة مؤجلة بالنسبة لهم... وهم يعلمون مدى إخلاصى وحبى لهم... فماذا سيكون شكلى وأنا عائد لهم لا قدَّر الله مُفلساً وقد خسرت كل شيء؟!...

صرخ التليفون مدوياً وجرت نهلة لتسمع، حيث أعلن الهاتف "سلفانا"...

أغلقت نُنَّه التليفون فى وجهها...

حيث علقت ننّه: كفاية بقى مصايب... نابليون صحيح ما غلطش لما قال فتش عن المرأة كل المصايب بتيجى من تحت راسهم... ناقصينك يا ست سلفانا إنتى كمان...

صرخ التليفون ثانية، وعلا صوت ننّه مغلقاً السماعة يا ستى مافيش حد هنا بالاسم دا، بينما سلفانا تعلن أنا سلفانا... لازم مستر محيى يتصل بى دلوقتى للأهمية بخصوص كاليفورنيا...

قالت نهلة: هو دلوقتى نايم...

قالت سلفانا: طيب لو سمحتى صَحّيه يكلمنى...

قالت نهلة: ما أقدرش أصحيه لأنه تعبان شوية وواخد حباية مهدئة... أصل أعصابه تعبانة...

فردت سلفانا: طيب لو سمحتى لما يصحى يكلمنى فى النمرة دى... يكلمنى على الموبايل... فى النمرة دى: ٨٤٥٣٠٠١٧٨٩

فردت نهلة: Thank you...

ودخلت نتّه المتعاطفة حجرتها، وكان مهران وشيرى يغطان فى النوم... وبدأ النعاس يداعب جفون نتّه حتى راحت هى الأخرى فـــى النوم...

بينما كان محيى خارج المنزل فـــى عربـــة شـــيرى الكـــاديلاك يتسوّق...

(١٢)

اشتريت مسدساً أمريكيا كاتما للصوت واستطعت أن أحصل عبر الانترنت على عنوان منزل ويل ريموند هـــذا المخـــرج الأمريكـــى المراوغ والذى أضاع علىَّ الوقت والنقود... وركبت الطائرة مســـافرا لكاليفورنيا... نزلت من الطائرة وظللت أبحث وأبحث وأبحث حتـــى تعبت، وبينما أنا متعب مرّت من أمامى فتاة أمريكية وقد غطى الوشم كل جسمها فسألتها Help me ساعدينى دلينى علـــى هـــذا العنـــوان والمكان... فقالت لى اتصل بـــ ٩١١ فاتصـــلت وقلـــت: Help me فدلونى على الطريق... استأجرت عربة حتى منزله وبعد نصف ساعة كنت أمام منزل المراوغ... وظللت ساعات أنتظر حتى رأيته خارجـــاً من منزله متجها لعربته الجيروكى... وبسرعة خاطفة أمطرته ثـــلاث رصاصات حتى خرّ أمامى صريعاً وظللت أصرخ: قتلته قتلته زى ما قتلنى... طاردنى البوليس ولم يستطع اللحاق بى وأنا أصـــرخ: قتلتـــه زى ما قتلنى... إلى أن وقعت من على السرير فجأة وارتطمت رأسى

بالكومودينو... وهنا صحوت من هذا الكابوس المفزع وعلى صوت نهلة التى لحقتنى وهى فى دهشة:

- مين اللى قتلته...
- ويل ريموند المخرج...
- قتلته إمتى؟...
- دلوقتى... تصورّى شفته مقتول... تصوَّرى يا سبحان الله كأن شاشة عرض دخلت جوّه دماغى وشفت عليها كل الحادثة. رُحْت له كاليفورنيا وضربته ٣ رصاصات وقتلته زى ما قتلنى... كان هذا كابوساً رهيباً... بس الحمد لله فقت منه... ما كنتش أعرف إن القتل شىء فظيع إلاّ لما صحيت الآن ورجعلى عقلى ثانى...
- طيب قوم اغسل وشك وتَعَالَ نتمشى شويه...
- حاضر... حاضر...

وبعد أن انتهيت من غسيل وجهى قالت لى نهلة:

- نتمشى على رجلينا أحسن؟
- أحسن.
- شايفنى اتغيّرت والاّ زى ما أنا؟
- اتغيرتى كثير عن الأول يا نهلة...
- إيه اللى اتغيّر فىّ؟
- الوضع اللى انتى فيه مش هو دا وضعك.

- إنت أصلك ما شفتنيش من ١٥ سنة سافرت فيهم مع جوزى الله يرحمه ٢٠ دولة فى أوربا وعشت فى الخارج طـوال المـدة دى... أكيد كان لازم حاجات تتغيّر فىّ.
- بس جمالك زى ما هـو وعنيكـى الخضـرة زاد خضـارها وجمالها... كانت تحس بمعنويات مرتفعة هذه النهلـة القمحيـة اللون والجميلة، لا هى بيضاء ولا هى سمراء، والتى تفـوقنى طولاً ولم تكن بالنحيلة أو السمينة ولم يُصبها الترهـل بعـد... نظرت لى كثيراً وهى تتأملنى ثم قالت...
- بس أنت اتغيرت كثير...
- الزمن...
- بس للأحسن...
- الحمد لله بس إنتى للأسوأ...
- طول عمرك صريح وجرىء... إزاى اتغيرت للأسوأ؟... إزاى يا محيى؟
- بقى معقولة نهلة اللى كانت بتتمرغ فى العز والـدلع والخـدم والسهر واللبس والفلوس ألاقيها هنا فى أمريكا قاعـدة تغسـل وتكوى وتمسح وتطبخ وتنضف الحمامات وعايشة مع جلياط...
- قل لى مين أروح له أو أعيش معاه بعد موت الدكتور جـوزى غير بنتى وحظها المهبب فى الجواز... بس والحمد لله أنا أتأقلم مع أى وضع دلوقتى اتحط فيه لإنى شـبعانة طـول عمـرى ومعاش المرحوم جوزى ٢٠٠٠ جنيه.

- وليه ما بتشتغليش هنا وانتى عندك لغات: تجيدين الإنجليزيـــة والفرنسية؟
- ماعنديش green card... ماعنديش إقامة...
- ماهى بنتك معاها إقامة ودلوقتى أمريكية وبتشتغل...
- بنتى لسه ماخدتش الجنسية الأمريكية، جوزها الكشميرى المسلم هو اللى معاه الجنسية الأمريكية... بعد ٦ شهور إن شـــاء الله حتاخد الإقامة زيه وتاخد الجنسية الأمريكية... وبنتى بتعـــرف زيى الإنجليزية والفرنسية وكمان الإيطاليـــة... ومتخرجـــة م الجامعة زيى ليسانس إنجليزى... ورداً على سؤالك: ليه باطبخ وبامسح واغسل... عشان بنتى... لازم أخدمها ما ليش غيرها، وحيدة زى ما أنت عارف... والاثنين بييجوا م الشغل هلكانين وأنا ما باشتغلشى، فلازم كلنا نتعاون مـــع بعـــض... وكمـــان حضيَّع كل الوقت دا فى إيه؟... فـــى الحاجـــات دى، وأدينـــى بتسلَّى.
- بس أنا من تأملاتى ليكى حاسس إنك بقيتى مُغَربـــة شـــوية... جريئة بتتكلمى مع الرجالة أكتر م الستات... ما عندكيش خجل لما بتتكلمى...
- بابا ربانى على كده... الثقة فى النفس. ثم إن الرجالة أطيـــب م الستات وكمان الستات بتغير منى... نفسى يبقى لـــى صـــديقة واحدة مش عارفة... ثم قللى إنت شايفنى باغلط فى إيه؟
- الغلط دا أصله حاجة نسبية، مفهومه نســبى... يمكـــن الغلـــط بالنسبة لى... ما يبقاش غلط بالنسبة ليكى...

– وجهة نظر... ثم سحبت الموبايل الخاص بها وقالت لى: اتصل بالنمرة دى... سلفانا...

انتزعت منها الموبايل واتصلت بسلفانا التى قالت لى: بعد دقائق أكون أمام منزلك، ففى عربتى خريطة تعلن لى عن خط سير الطرق من نيويورك حتى منزلك من خلال صوت بشرى مسجل يدلنى ويعلمنى ويحدثنى طوال الطريق...

وبينما نحن نسير صعدت بها منحنى جبلياً صغيراً ثم قلت لها: دقائق وتصل سلفانا أمام المنزل.

– لماذا؟

– بناء على تعليمات ويل ريموند تجهز لى صوراً ترسلها له قبل سفرى إليه... هانت يا ننه هانت.

ولكن نهلة رمقتنى بنظرة لم أفهم ما وراءها... بسرعة غيّرت الموضوع وقلت لها...

– هذا هو الملعب الذى أمشى فيه وأجرى يومياً كل صباح.

فقالت لى نهلة...

– إنها مدرسة أطفال وهذا هو الملعب الخاص بهم...

– ولكنى لم أشاهدهم منذ شهرين كنت أتدرب فيه هنا...

– ولكن اليوم هو بداية العام الدراسى...

تقدمت منا إحدى المدرسات الأمريكيات وقالت لنا فى أدب:

– اليوم هو بداية العام الدراسى للمدرسة، وهذا الملعب خاص بهم، وإذا أردتم المشى حول الملعب فبعد انتهاء المدرسة...

وصلت سلفانا الأمريكية وهى تحمل كاميرا كبيرة ومعها طفل غاية فى الجمال وقالت لى...

- هالو محيى...
- هالو سلفانا welcome...

ثم قدمت لى هذا الطفل:

- أرماندو... وهو الذى سيكون ابنك فى الفيلم كما أخبرنى ويل ريموند المخرج، وركبت العربة التى انطلقت بنا للأماكن التى يتم فيها تصويرى حسب تعليمات المخرج، بينما سلفانا تعطينى التعليمات...

اعدل شعرك كويس... ضم رجليك... اضحك... ثانية واحدة action ويتم التقاط الصورة... ثم تطلب منى تغيير هذه الملابس التى صوّرت بها بملابس أخرى حيث مكان آخر...

لا أخفى عليكم غيّرت ملابسى عشرين مرّة حيث كنت أحملها معى فى شنطة كبيرة وسريعة الفتح، وكان يساعدنى فى تغيير ملابسى أرماندو هذا الطفل الجميل والأكثر ذكاء...

ركبنا السفينة فى البحر وصولا لتمثال الحرية، ونزلنا وصدرت دعابة من أرماندو وكأنه مخرج يعطى تعليماته وهو يضحك قائلاً مقلدا سلفانا:

- مستر محيى تمثال الحرية وراك، لو سمحت إضحك... كمان... أكثر... ثم نظر لسلفانا قائلا بصوت عــال: action... وتــم التقاط الصورة.

وكذلك عند الإمبير ستيت... وشارع وول ســتريت... وبحــر هدسون... وأمام البيت الأبيض كان أرمانــدو يضــحكنا بحركاتــه المدهشة والطريقة التى يُحَضِّرنى بها قبل التصوير، ثم كم كنا نضحك أنا وسلفانا عندما يحزق بأعلى صوته قــائلا Action مــع ســلفانا، والمشاهدون من حولنا يضــحكون علــى هــذا الأرمانــدو اللطيــف والمسلى...

وفى طريق العودة لمنزلى قالت لى سلفانا: استعد... فلقد تم حجز التذكرة وستصلك فى خلال أسبوع من الآن، وسنتصل بك وريمونــد سيخبرك بكل الإرشادات قبل وصولك... وسيكون فى انتظــارك فــى المطار... وأرماندو سيسافر معك ليسهل لك أى عائق ويســليك فــى السفر... إنه طفل فى الثامنة من العمر، صغير ولكن مخّه كبير، فلديه معلومات كثيرة من الكمبيوتر الذى تعلّم منه الكثيــر، ولا تــنسَ أنــه سيكون ابنك فى الفيلم... وَدَّعتنى وودعــت وَنيســى لرحلــة العمــر لكاليفورنيا أرماندو.

اقتربت المسافة وزادت ثقتى بنفسى، فأنا نجم وبطل فــيلم ويــل ريموند المقبل، ولقد كنت أدرك تماما أن المؤمن مصاب وأن الصــبر مفتاح الفرج...

وهاهى علامات الفرج تفوح بشائرها... يداى تقترب كى تمسك بالــ ٢ مليون جنيه العاصية... يداى هذه التى كانت تلعب بــالفلوس

لعباً ولا أقيم لها أي وزن... الآن أنا فى أشد الحاجة إليها كى أقيم لها وزناً واحترمها وأصونها ولا أفرّط فيها كما كنت فى الماضى... فقط تأتى...

عدت للمنزل سعيداً فرحاً لكى أخبر نهلة بما حدث...

- نهلة: اقتربت المسافة وسأسافر الأسبوع القادم ولا حجـة فـى الميعاد.

نظرت لى فى جمود وقالت: شيرى سابت البيت

- وراحت فين؟
- ماقالتليش...

بينما كان فى الصالة يجلس أحد أصدقاء ئتّه فسألتها:

- ومين اللى قاعد فى الصالة دا؟
- دا صديق من أصدقائى عازمنى على العشا.
- مصرى دا؟
- مصرى أمريكى.
- والعمل دلوقتى؟...
- مش عارفة...
- واللى قاعد برّه دا اسمه إيه؟
- محسن حسان عنده مطعم فى نيويورك...
- وحيمشى إمتى؟
- قاعد أصل فيه بيزنس...
- بزنس؟
- هو انتى بتشتغلى فى البزنس؟...

- أيوه.
- عشان كده التليفون طول الليل بيرن... إتغيرتي يا نهلة... وشيرى سابت البيت ليه؟
- اسأله...
- إنت حتسأل محسن حسان؟ دا ضيف... خش اسأل جوزها النكدى.
- هو هنا؟
- قافل الأوده على نفسه وبيتصل زيى بيها ومش لاقيها...

ظل محسن حسان جالساً بمفرده حتى نام... وتساءلت: ماذا يحدث فى هذا المنزل... فأفهمونى أن كل من يأتى من ولاية لولاية يأتى مجهداً بعد انتهاء عمله وجاى سايق أربع ساعات، فمن شدة الإرهاق يقع فجأة ويسقط نائماً دون علمه... ولا يستطيع الرجوع لمنزله فى نفس اليوم، لذلك لابد أن ينام فى المنزل الذى يقصده كزائر...

دخلت حجرة مهران وسألته عن سبب زعل شيرى وتركها المنزل، فقال لى: من يوم ما ركّبت الدّش المصرى وماورهاش إلا القنوات المصرية. وأنا عايز أشوف القنوات الأجنبية، وفيه عندنا ٢ تليفزيون لكن مافيش ٢ دش عشان كل واحد يشوف اللى عايزه، لما هى بتيجى قبلى م الشغل ألاقيها هيّ وأمها بتشوف الدّش العربى... وأنا باجى بعدها عشان عاوز أشوف الأجنبى، لما مسكت الريموت وغيَّرت العربى وَحَوّلت ع الأجنبى زعلت، وكمان زعلانة منى عشان أنا ردّ فعلى سريع على أى سؤال، وبتقول إنى مِدَخَّل مناخيرى فى كل

حاجة فى البيت، وطالبة منى ما أخشش المطبخ لأنى باحب أسألها باستمرار عن كل حاجة... ومُصرّة أن صوتى يوْطى ودا مش ممكن... هو دا صوتى كدا ولازم أسأل باستمرار ودى انفعالاتى كمان وأنا اتربيت على كدا... سابت البيت وما أعرفش دلوقتى هِيَّ فين... يصح دا يا أستاذ محيى؟! ولما قلتلها: عندنا لما الواحد يوصل سن الـ ٤٥ سنة يهجر فراش الزوجة ويمتنع تماما عن زوجته ويتركها تتفرغ لتربية الأولاد... ناقشتنى... فقلت لها: هذا موضوع خارج أى نقاش ولا أسمح أن يناقشنى فيه أحد... فهل يصح منها أن تترك البيت وأنا أحادثها؟

لم أرد عليه لأننى اكتشفت أنه لا أمل فيه... فالبيئة والتربية عند شيرى مختلفة تمام الاختلاف عن مهران، وكان يشغلنى فى هذه اللحظة الشخص اللى نايم فى الصالة محسن حسان والذى تركته نهلة ودخلت حجرتها... وتساءلت: هل فعلاً كل إنسان هنا حر...

وشيرى هذه ذات العينين الخضراوين والجميلة عندما تغيب عن البيت أحس بغشاوة على عينى، فهى شيطانة هذا البيت وزهرته ونهاره وليله... دمها خفيف ودلوعة وودودة رقيقة لطيفة عاطفية وعقلانية أيضاً... بينما مهران هذا... ليس بينى وبينه لغة مشتركة... فهو شخصية طاردة لمن يقترب منه...

بدأت أعى شكل العلاقات الجديدة هنا، فأنا إنسان مثقف ومتحضر ولست بمتزمت وعلى استعداد ان أغير من مفاهيمى إذا اقنعنى التغيير... كذلك ألزمت نفسى بعد ذلك أن أتعايش معهم وبهدوء ومع هذه المتغيرات والتى لم يكن لى بها سابق علم... وتعلمت أن أقترب

منهم ساعة المرح... أما ساعة التوتر فعليَّ أن أبتعد وعندى من الوسائل الكثير...

مرّ هذا اليوم الثقيل الذى نامت فيه شيرى خارج المنزل فى عربتها ولم تذهب لعملها، وفوجئنا بها وهى ذابلة داخلة المنزل فى بطء فى منتصف الليل كرجل عجوز انتهى عمره الافتراضى فجريت تجاهها أعطيها كتفى كى تتوكأ عليه حتى سريرها... واهتزت الأم تأثرا...

وفى صباح اليوم جاء الخبر السعيد: ويل ريموند المخرج الكاليفورنى يتحدث واليوم ٢١ أغسطس...

- مستر محيى؟
- نعم أنا محيى.
- أرسلت لى سلفانا صُوَرك... رائعة... وتم حجز التذكرة لك بالكمبيوتر، وتم تحديد موعد سفرك لى ٢٨ أغسطس ومعك ابنك فى الفيلم أرماندو... يعنى أسبوع من دلوقتى.
- أرجو أن يكون هذا آخر موعد لسفرى بالفعل.
- ستصلك التذكرة بعد غد فاستعد، وعليك أن تعرف أنك أخطأت عندما أخذت الطائرة إلى نيويورك وكان يجب أن تأخذ الطائرة إلى كاليفورنيا عندى هنا.
- خفت ألا أجدك... فقلت عليَّ بتأمين نفسى فسافرت مع إحدى المصريات المقيمات هنا فى أميركا وأقيم عندهم... ومن هنا أعلمك بمجيئى ثم ننسق بعد ذلك كيفية الحضور لك... ولم أكن أعلم أن كاليفورنيا بعيدة عن المكان الذى أنا فيه.

- أنت فى ولاية أقصى الجنوب... وأنا هنا فى أقصى الشمال وبينى وبينك ٦ ساعات بالطائرة وثلاث ساعات فرق توقيت... ألم تكن تعلم كل هذا قبل حضورك لنيويورك...
- المهم أننى أتيت منذ شهرين وأعلمتك بوصولى فلماذا لم تعجّل لى بالسفر إليك؟
- كنت أنتظر التعويض ولا أستطيع أن أعمل وأنا تحت العلاج... وقد أخذت التعويض ومرحبا بك الآن... ولا تحمل هماً فسوف أعوضك عن كل شىء...
- لقد أنفقت حتى الآن ١٠٠٠٠ دولار.
- ستأخذ كل حقوقك المادية والأدبية وسيكون لك حسابات فى البنك، فقط ستصلنى بالطائرة فى الثامنة صباحاً ومعك أرماندو الذى سيسهّل لك أى عقبة تعوقك حتى تصل... سلام.

(١٤)

فى الصباح رفعت لهم خبر سفرى يوم ٢٨ أغسطس... عمَّ الحزن بينهم... حتى فوجئت بنته تقول لى: إذا أردت أن تتزوج فعندى أمريكية ستأتى غدا، وفرصة تأخذ إقامة وتعيش هنا، وهى جميلة وفى الخمسين واسمها فلورنس...

- ولكنى مازلت أحب زوجتى رغم أننا مبتعدان وهى أيضا تحبنى...

- ولكن الجنّة هنا... هل نسيت ما كنت تقوله لى: إن الدين لله... والوطن للجميع؟ والوطن الذى للجميع هو أمريكا... ففيها كـل مهاجرى العالم وهنا يعرفون قيمة الإنسـان ويعطونـه حقـه كاملاً... فلماذا هذا التناقض؟
- دعينى أفكر...
- محيى... من هى السيدة التى أخذتك بالعربة من هنا وكان معها طفل؟
- سلفانا الأمريكية التى تعيش فى فرجينيا...
- ومن تكون سلفانا هذه؟
- هى مصوّرة وتساعد المخرج الأمريكى ويـل ريمونـد، وقـد أرسلها لتلتقط لى بعض الصور لوجهى الآن.

هانت الحمد لله... أنا قادم لك يا كاليفورنيا... اللهم لـك الحمـد والشكر... من حقى الآن أن أسهر وأرقص... وفى المساء قصدت أحد أماكن السهر التى تحوى كل جنسيات العرب واسـتقبلنى المصـريون والعرب بالترحيب والقبلات وفوجئت بزجاجات الشـمبانيا يفتحونهـا ويدلقونها على الأرض، فهالنى ما رأيت من فوضى وعبث... وقدموا لى ملوخية بالأرانب...

وبينما أنا آكل فى سعادة والمكـان مكـتظ بالسـهرانين علـت الموسيقى الشقية ودبّت السخونة فى المكان وهات يا طرب وهات يـا رقص وهات يا نقوط ترش لأعلى ثم تسقط على الترابيـزات وفـى المأكولات وعلى الأرض...

أصبت بفزع... فهاهى الدولارات التى يشقى الأمريكان فى العمل للحصول عليها... هكذا ترمى بيد العرب بزهق وقرف لأعلى، ثم تسقط لتمرّغ تحت الأقدام... دولارات فئة المائة، وفئة الخمسين، بكميات لا حصر لها، تتناثر فى الأضواء الكاشفة وتسقط على هؤلاء اللاهين بلا وعى من بلاد الشرق...

هذا المنظر المقزز فى كباريهات مصر رأيته... وليس فى مطاعمها التى أشاهدها الآن فى أمريكا... ولكن الفرق بين هنا وهناك أن النقطة فى مصر يكنسونها بعد انتهاء المطرب أو الراقصة من فقرتها ثم يضعونها داخل الطبل حتى تقسم بالنسب. أما هنا... فالنقطة يتركونها طوال فترة السهرة – قل ٦ ساعات – وأتحداك لو نظر أحد لدولار أو وضعه فى جيبه أو سال لعابه على ورقة فئة ١٠٠ دولار ليسرقها...

٦ ساعات والدولارات يدوسها الساهرون والمطربون والراقصات تحت أقدامهم... وفى خروجهم ودخولهم ورقصهم الجماعى...

وفى لحظة عبث غير ممهّدة وقبل انتهاء البروجرام... يتقدم اثنان فى أيديهما مقشات ويبدأون فى كنس آلاف الدولارات لتكوّم أمام الآلات الموسيقية... نظرت لى إحدى الأمريكيات فى فزع وقالت لى: من هم هؤلاء الذين يرمون دولاراتهم... فقلت لها إن هذا هو اللهو الخفى الذى تفوح منه رائحة الكسل والاستخفاف والجهل والاستعلاء... إنما يؤكد صورة التخلف البشرى الذى يعلن عن تواجده

الكريه والمميّز بهذه الصورة غير المشرفة... بصقت علـــى المكـــان وانصرفت حزينا...

لماذا حدث هذا النكد الفجائى فى هذا البيت الذى أحببته وفى هذا الحى الذى عشقته؟

أردت أن أعيد لهم جو البهجة فقلت لهم أين البخور وأين شرائط الأغانى المصرية فاليوم الجمعة... فقامت نهلـــة وأعـــدت المبخـــرة وبخرّت شيرى، واستأذنتهم فى اللحظة التى صاح فيها مهران: أســـتاذ محيى، هل تتفضل وتسمح لنا بأن ترافقنا فى زيارة؟ فـــاليوم الجاليـــة اليونانية تقيم حفلاً.

فقلت له: شرط ألا تدخل مع أحد فى حوار... لأنك دائماً تخطئ ثم تتوتر وتتعصب وتسبب حرجاً لمن معك... هذا شرطى...

فقال: خلاص يا أستاذ موافق...

وساقت شيرى عربتها الجميلة وانطلقت لحفل الجاليـــة اليونانيـــة وأكلت لقمة القاضى وضحكنا ورقصنا وسمعنا أغنيـــاتهم العذبـــة... وشاهدنا مختلف الرقصات عندهم والألعاب السيركية والشعبية اللذيـــذة وكان الترحيب بنا لا ينقطع... فلقد كنا فى استضافة أســـرة يونانيـــة تعرفها شيرى... وكنت كلما قدمونى لأحد أقول وكأننى علـــى علـــم باليونانية... كَلاَ كَلاَ... وعندما يـــردون التحيـــة أواصـــل قـــولى... إفخرستوبولى، فيردون: كَلا كَلا... ثم أقول: أريـــد أن آكـــل مـــن... هذا... ثم أقول كلمة هذا باليونانية أفتو... فيحضرون لى ما أريـــده... لكنهم عندما بدأوا معى الحديث باليونانية أعلمتهم أننى لا أعرف منها

إلا ما قلته من كلمات... وهى كلا كلا وهى أهلا أهـلا بالعربيـة... وأفتو شكرا بالعربية...

(١٥)

أحب الجلوس فى البرجولا وهى عبارة عن مبنـى خشـبى ذى تصميم هندسى شديد الجمال مفتوح من كل الجوانب ويحوى الكراسى الخشبية والترابيزات وفى كل مجموعة بيوت تجد هذا الجازيبو مـن على بعد... يقيمون فيه بعـض حفلاتهـم أو يلتقـون فيـه للتأمـل والتحدث... ودائماً أراه مهجوراً فلا يقصده أحد...

فقصدته لأمارس فيه تمريناتى السويدية... وهذا هو آخـر يـوم لتمريناتى ولا أعرف متى سأعود إليه...

اليوم أودعه فلكم تمنيت أن يكون معى فى القاهرة... ففيه ألعـب الرياضة وأتأمل الحى وسماء الخـالق وأسـمع أصـوات العصـافير المغرّدة... ورؤية الورود فى الجناين وأشـكال العربـات الضـخمة والفخمة بكل ألوانها وماركاتها...

مرة ثانية أشكر الملعب الرياضى والبرجولا، فاليوم بالنسبة لـى عيد، فلقد نقص وزنى فى ٩٠ يوماً ١٥ كيلو... قبّلتـه خارجـاً منـه قاصداً المنزل وكان مهران قد أتى من عمله ثم أكـل ونـام فأخـذت مفاتيح عربته وانطلقت للأسواق لشراء بعض الملابس...

وقد قررت أن نمضى هذا اليوم فى الضحك والرقص والتهـريج وأن أطبخ لهم بيدى...

وفى عودتى وجدت إحدى العربات وقد توقفت مكان عربة مهران... فنزلت من العربة لكى أعرف من الذى وقف بعربته فى مكانه... فنزل راكبوها مرحبين بى... فوجدت الأسرة اليونانية والتقت عينى بعينى چورچيت وهى تنظر لى فى زعل:

- ماكلمتنيش ليه يا أستاذ محيى؟

- أصلى ألغيت السفر لكاليفورنيا.

ثم أدخلت يدها اليسرى فى حقيبتها وأخرجت لى تذكرة سفرها غدا لكاليفورنيا... على نفس الطائرة التى سأطير عليها.

ثم قالت لى: إنت خارج وإلاّ داخل.

فقلت داخل عشان نتعشى... وبما أنك مسافرة غداً كاليفورنيا فليكن هذا هو العشاء الأخير، هيا لنحتفل ودخلنا واتجهت مسرعاً للمطبخ... وبدأت أطبخ بينما لورانزو وزوجته ماريانا... الأخت الصغرى لـچورچيت قد جلسا فى الصالة... وكان الكل نائماً...

تسللت چورچيت تشاهدنى وأنا أطبخ وأقشر البصل والثوم وأطبخ الكوسة باللحم وأعد طبق السلاطة وحلة الرز... ثم قالت: هل تسمح لى أن أكون مساعدة طباخ؟... فضحكت...

فهنا كل بيوت أمريكا لا تعرف الحساسية، فالعقل هنا هو كل شىء... فلا استعلاء ولا استخفاف ولا فشخرة ولا منظرة... سواء فى اللبس أو المعاملة... فالإنسان هنا - بعيدا عن السياسة - طيب وفى حاله وثقته بنفسه كبيرة وبعيدة كل البعد عن الكذب والغرور... الكل يخدم حيث لا خدم هنا فى البيوت... والكل يساعد فى البيت... فهاهى

جــورجــيت وقد وضعت الزبالة فى كيس لتخرج ضاحكة وبســرعة لتلقيها فى صندوق الزبالة...

استيقظ النائمون ليجدونى وقد علقت القرع الأصفر على الباب... ففى أكتوبر القادم سيهل عيد الهالووين فتعلق أمريكــا كلهــا القــرع الأصفر... وقد رسموا عليه أشكالاً مخيفة... ويخرج الأطفــال وهــم يرتدون الأقنعة ليخوّفوا العفاريت المرسومة على القرع والمعلّقة على واجهات البيوت، وعلى السكان أن يتحاشوا الأطفال بأن يقــدموا لهــم البونبون مما يجعلهم يحسون بالنصر على العفاريت المرسومة... وبما أننى لن أحضر هذا العيد فلقد كنت سباقا فى أن أحتفل به قبل موعــده لأننى لن أكون هنا فى أكتوبر لبست قناعاً مخيفاً، وعلــت الموســيقى وبدأت أصرخ فى الضيوف فى تهريج وهم يصرخون خوفاً ويجرون خارج الشقة وأنا أصدر أصواتا مفزعة... وكلما حاولوا دخول الشــقة أفزعهم وأصرخ، بينما هم يحاولون شنكلتى أو الإمساك بى... حتــى هَدّنى الضحك والتعب وهم يقدمون لى الشيكولاتة على أنهم خــائفون منى، مما يجعل الضحك على أشدّه.

دخلت لكى أسترد أنفاسى المتلاحقة وأمسح العرق المتصبب على وجهى...

فجأة أمطرت السماء، فأخذت الشمسية وفتحتها وظللــت أجــرى أمام المنزل وخرج أهل الحى الصامت ليشاهدوا هذا المجنون الطــائر غداً لكاليفورنيا... وهو يُبلّل وجهه بالمطر ويصرخ مغنياً إشّتى إشّتى وكتّرى... عندنا العيش الطرىّ... وهو يرقص بطريقة كوميدية، مما

جعلهم يضحكون عليه غير مصدقين هذه الحركات البهلوانية التـــى لا تمت بأى صلة للرقص...

بينما شيرى تترجم لهم وهم يضحكون بشدة، أخذ بعضهم بقيـــة الشماسى من الداخل وفعلوا مثلى، فكان منظراً مثيراً فى الحى، ســـتة مجانين خلف الشماسى فى الشتاء يغنون ويجرون وراء بعضـــهم ثـــم يعودون من نقطة انطلاقهم أمام الشقة يتوقفون للحظات ثم يعـــاودون الجرى وهم يضحكون ويغنون هذه الأغنية الشتوية... بينمـــا تغيـــب مهران فقد كان فى داخل المطبخ يحـــف الـــرز ويشـــرب الخضـــار بالمغرفة.

اشتد المطر فهرعنا داخلين إلى الشقة وقد أغلقنا الشماسى.

ومن شدة التعب تسلطح كل فى كرسيه بينما نمـــت أنـــا علـــى الموكيت... ونسينا العشاء تماماً وطلبنا المطعم الصـــينى والإيطـــالى آكلين الأكلات الحريفة الـــ spicy... لكن ما أسعدنى حقا فى ليلة مـــا قبل الوداع خروج أهل هذا الحى الآمن والصامت لكى أراهم جميعـــاً وأسمع أصواتهم بعد أن كنت باستمرار أسمع هنا صدى نَفَسِى فقط...

انصرفت الأسرة اليونانية... وكنت قد انتهيت من إعداد حقيبـــة السفر الكبيرة ووضعت فيها كل المشتريات التى اشتريتها... ولم أنس أن أضع مشتريات محل اسمه One Dollar يبيع كل شـــىء بواحـــد دولار فقط، وهو عبارة عن مول كبير يا جماله... اشـــتريت هراشـــة خشب لتهرش بها جسمك... سندوتش جلد... هامبورجر لعبة للكلب... قبعة... قناع دراكولا... الذرة الهندى الملونة الأمريكية... الخ.

الساعة الآن السابعة صباحاً... ثم الثامنة... صارت التاسعة صباحاً... دق موبايل شيرى... فأعطته لى بسرعة... وهاهو صوت ويل ريموند:

- مستر محيى.

- نعم مستر ويل...

نأسف لأننا... لم نستطع حجز التذكرة هذا الأسبوع... كن على استعداد للطيران عندى قريباً... أحييك... سلام... التمس لى العذر...

وهنا انفجرت نهلة صارخة... دا نصَّاب... والله العظيم نصاب... إزاى تصدَّق واحد زى دا... بيديك وعود من شهرين وبيكذب عليك فى كل مرة، وبقالك ٣ شهور ومش سائل فيك. ثم إن السفر لكاليفورنيا التذكرة تتحجز فى يوم لو هُوَّ عايز... أطلبه وقل له الكلام دا... المخرج دا آذاك ولازم يفهم دا...

تلاقيه فاكر أنك مليونير، عشان بقالك هنا فى أمريكا ٣ شهور... لأنه عارف أن كل يوم بيمر يعنى دولارات بتندفع... لازم يفهم أنك فى أمريكا مش فى مصر... مافيش حد يقدر يقعد فى أمريكا مدة طويلة إلا إذا كان غنى... أو بيشتغل كل يوم... فهِّمه أن فلوسك خلصت... وفهمه أنك حتسافر لأن مامعكش فلوس... لازم يفهم موقفك صح... وأنت كمان تفهم موقفه... لازم مواجهة صريحة بينك وبينه، هنا فى أمريكا المشاعر جافة... ولكى تتحرك المشاعر لابد من

مواجهة عنيفة... ولقد عهدت فيك دائماً الصراحة فاقتحمه... لابد وأن تقتحمه...

أدخلت شيرى الشنطة فى الكلوزت... وكم كانت سعيدة بعدم سفرى... ثم عادت وهى تحمل فى يدها كوبا من التفاح... شربته واستأذنتهم خارجاً كى أتمشى لكى أضع النقط على الحروف... ولتكن وقفة أخيرة مع الذات...

فكرت فى البداية أن أسافر لواشنطن حيث مقر سفيرنا نبيل فهمى هناك... ثم ترددت وماذا سيفعل لى السفير... وأنا ليس معى أى اتفاق مكتوب...

(١٧)

ما أسألش... ما أسكتش... ما أقدرش... ما أعرفش... ما قولش... كلمات تعايشت فى داخلى... احترت كثيراً بين هذه الكلمات... فأحيانا أقول لنفسى... هل أسأل ويل ريموند عن بعض ما يتردد فى نفسى من تساؤلات... ثم أعود لأقول لنفسى: لا... ما أسألش... عيب...

وأحياناً تفور نفسى... حيث أقول لها ماتسكتشى وقوله... وأحيانا يدفعنى الخجل والحياء لعمل حواجز بينى وبينه... فالرجل مُغرَّب الآن وله تقاليده وتربيته... وأنا من الشرق لى تقاليدى وتربيتى... لذلك ما أقدرش أشيل الحواجز...

وأحيانا أتساءل: هل أنا مدرك تماما لما حدث لى من إيـــذاء؟... نعم مدرك تماما... ولكن لماذا دائماً ألتمس له العذر وأقول ما أعرفشى يمكن ظروفه أقوى منه... وماقلتش حاجة عنه تسىء إليه...

وعادت لى هواجسى من جديد منصبَّة فى هــذه الكلمــات: مــا أسألش، ما اسكتش، ما أقدرش، ما أعرفش، ما قولشى...

حاولت أن أخمد العواصف التى تطيح بى والتى بدأت تطفح على وجهى... حاولت أن أتصالح مع نفسى لكى أعدد مكاسبى مــن هــذه الرحلة مستثنياً هذا الفيلم... فقلت لنفسى إن مــا يعزينــى فــى هــذه المغامرة التى أصبحت الآن غير محسوبة... أننى أصــبحت رشــيقاً وفقدت من وزنى خمسة عشر كيلو... وأصــبحت أتحــرك بســهولة وأرتدى كل ملابسى التى كانت ملغية منذ سنين... وما يعزينى أكثــر هو وجودى وسط هذه الصحبة الإنسانية من البشر... ورؤيتى لأمريكا والفسح والتجربة التى عشتها... وسألت نفسى: ماذا كان سيحدث لــو سافرت له كما قال لى لكاليفورنيا... ولم أتمكن من مقابلته أو الوصول لمنزله... أو أغْلَقَ الموبايل؟...

من المخطئ إذاً: أنا أم هو؟

أقر واعترف أن المخطئ هُو... أما أنا فمغفَّل... لأننى وثقت فيه واحترمت كلمته لى عندما اتصل بى فى القاهرة أكثر من عشر مرات فى شهور مارس وإبريل ومايو ليخبرنى أن أنهى أعمالى فى القــاهرة بسرعة لأحضر له فى يوليو... مؤكداً لى أن كلمته بالنسبة لى... هى بمثابة عقد عمل...

لكنى أقر وأعترف أيضاً... بأننى مغفل لأننى لـم أوقـع عقـداً رسمياً فى القاهرة وقبل سفرى...

ولكنى عدت أقول: إن ويل ريموند الذى التقيت به من قبل هنـا فى القاهرة... وأخرج لى أعمالاً ناجحة كان صاحب كلمة طوال عمره وصادقاً... فلماذا لا أصدقه الآن...

كان علىَّ أن أصدقه... فالرجل هو الذى اتصل بى... وهو الذى يصر على حضورى... تشهد بذلك مكالماته لى فى القـاهرة والتـى بدأت منذ عام ١٩٩٥ وحلمه بإخراج فيلم مصرى يصور كله بالكامل فى أمريكا ويسند لى بطولته... فكان علىَّ أن أسـعى أنـا أيضـاً... لتحقيق هذا الحلم وأسافر له...

فالفيلم سينتج فى أمريكا... وهو كمخرج الآن أميركى الجنسية... وأنا البطل ٢ مليون جنيه... وهذه ضربة بالنسـبة لـى... فلمـاذا لا أصدقه... ولماذا لا ألتمس إذا له العذر... وخطاباته لى المكتوبة بخط يده تشهد على صدقه منذ عام ١٩٩٨... وإذا لم يكـن جـاداً فلمـاذا يتصل؟

لقد قال لى أخيراً هنا وأنا فى أمريكا... وعبر حديث تليفونى منذ أيام ليست ببعيدة:

مستر محيى سنبدأ التصوير فى سبتمبر... الصحافة هنا تنتظـر حضورك... فريق العمل جاهز وسـتعمل مـع ممـثلات وممثلـين عالميين... ستأخذ حقك كاملاً فى الدعاية والنقود... وسنفتح لك حسابا فى البنك... وتستطيع أن تتزوج من أمريكية هنا... وتأخـذ الجنسـية الأمريكية... وسندفع لك ضرائبك على أموالك التى ستقبضها هنـا...

وسأعطيك إيصالات تثبت أنك تكسبت هذا المبلغ من عمل مثلت فيه معى... وتستطيع أن ترسل من هنا لأهلك ٥٠٠ دولار يومياً بالوستيرن يونيون البنك اليومى السريع... لتصل النقود لهم ثانى يوم... فلا مشاكل هنا على الإطلاق، لقد أوجدت أمريكا حلاً سريعاً لكل شيء... كنت أتمنى أن ألقاك بسرعة... ولكن ظروف القضية تمنعنى من الحضور عندك...

ثم يعود قائلاً ولكنى سأفكر فى الحضور لك ومعى الفيلم... ونمكث فى أحد الفنادق لمدة أسبوع لمراجعته... ثم تسافر، وأنا أرى أن هذا أفضل...

إذاً سأحضر فى الأسبوع القادم... انتظر تليفونى...

هذا ما قاله الرجل، وأنا لا أنسى ما قاله... فلماذا كل هذه التناقضات والتى لم يتحقق منها شيء حتى الآن؟

(١٨)

من يضمّد لى جراحى... ياربى وقد بدأ الخريف وتساقطت أوراق الشجر بكل ألوانها المستردة... والزرقاء والحمراء... والبنى والفوشيا... والرياح تعوى هنا لا تعرف الرحمة... والبط البرى قد طار مهاجراً، وطيور فى السماء تصرخ... وهنا تذكرت أغنية كنت أتغنى بها فى شبابى (سمبو راح البحر... قلع هدومه ونط... عام على جنبه... جه أبو جلمبو قرصه فى جنبه... ياعينى ياسمبو)...

أنطلق فى الشوارع ليلاً أسير بمفردى فى هذا الخلاء... فى هذه الشوارع الصامتة التى لا يوجد فيها حتى كلب يُؤنسنى فـــى وحشـــة الطريق...

أهلكنى التفكير فعدت للمنزل ودخلت حجرتى وبلعت حباية منوم لكى يهدأ عقلى... وفى المساء صحوت وخرجت دون إذنهم وكـــأنى أصبحت أعيش فى هذا المنزل بمفردى... وقد لاحظوا شروداً ينط من عينى... فتركونى لحال سبيلى وهم يرثون لحالى ولا يعرفـــون مـــاذا يصنعون من أجلى...

وبينما أنا قد وصلت لباب الخروج أوقفتنى شيرى قائلة: خللـــى بالك من سنيبْر Sniper واشنطن، القناص قتل ١٥ إمبـــارح، وحتـــى بص وأنت واقف ع الباب بص على شاشة التليفزيون واسمع، فاقتربت من الشاشة وصدق الخبر – الإسنيبر يقتل الناس فى ولاية فرجينيا... إنه يتحرك بعربة كبيرة متجها فى الظلام لبنسلفانيا... ولا نعرف مـــن تكون ضحيته القادمة...

(١٩)

انطلقت فى الظلام ككلب مسعور وتمنيت أن أرى هذا القنـــاص فهو لا يقل ضراوة عن ويل ريموند... فويل ريموند جعلنى أموت كل يوم موتاً بطيئاً أمام هذا القناص فإن رصاصة واحدة منه تريح المقتول فى التو واللحظة... ويموت العقل ونكد الذاكرة التى تلاحقنى فى نومى وأحلامى ويقظتى...

أسرع الخطى فى كل الشوارع المظلمة فى بنسلفانيا الساعة الحادية عشرة مساءً، وحذرونى هنا من الشرطة أن تداهمنى وأنا الوحيد اليقظ فى الشوارع فيوقفونى... فأمنت نفسى بالباسبور والدولارات وبعنوان الحى الذى أنا فيه ورقم تليفون المنزل والموبايلات ونسيت تماماً أنهم قد يتجاهلون كل هذا عندما أخبرهم بجنسيتى واتكلت على الله ولاحت لى من على بعد عربة بوليس توقفت مقتربة منى... فلم ينزل منها أحد... وتركونى لحال سبيلى وهنا اكتشفت أن أخوف شيء يخيف الإنسان هو أن يكون خائفاً... وقلت لنفسى: مادمت أحترم دستور وقوانين أمريكا فأنا فى أمان، والدليل أنهم لا يخيفونك وأنت تسير بمفردك... فهذه هى حريتى مادمت لا أوذى أحداً بسيرى هذا فى الظلام فأنا لا أصرخ ولا أعوى ولا أقذف أحداً بالطوب ولا أخبطُ على منازلهم... فالله يرعانى... وهو الذى يعلم بحالى...

فى هذا الخلاء الموحش والصمت القاتل... تتجسَّد قضيتى أمام عينى الآن وتحاصرنى...

فكان علىّ أن أجرى حتى أتخلصّ من ضغط الدم العالى الذى بدأت أحسه مقترباً من جبهتى... الشيء الذى لم يحدث لى من قبل... أسرعت الخطى أكثر فأكثر وأنا أجرى من شارع لشارع، بدأ المطر يحاصرنى، ولم يكن معى الأمبريلاً الشمسية... فقلت لنفسى جَرِّب مطر أمريكا ورياحها القارصة وتذكر ملايين البشر الذى قتلوا فى حروب وحشية لا آدمية... واشكر الله أنك مازلت حياً...

كان لزاماً علىّ أن أتسلح بكل أسلحته وأن أحاربه بنفس سلاحه... وأن أحقق الكابوس الذى حلمت به من قبل، إذا علىّ بشراء مسدس للدفاع عن نفسي... أنا لست بقاتل... ولكن أظلم الناس من ظلم نفسه...

(٢٠)

وقررت بالفعل أن أسافر له لاسترداد جميع حقوقى... ففى حالتى هذه لا يحمى حقوقى المسلوبة سوى القوة...

وأن آية المنافق ثلاث...

إذا حدث كذب... وهو كذب

وإذا وعد أخلف... وهو أخلف

وإذا أؤتمن خان... وهو خان

ولكن كيف سأركب الطائرة وأنا أحمل سلاحاً وهناك إرشادات على التذكرة تقول ممنوع اصطحاب الألعاب النارية يعنى مسدس الصوت...

إذا علىّ أن أتوقف عن شراء سلاح... ثم قلت لنفسى وأنا أرسم له الخطة... لن أتحدث معه فى منزله بل فى مكان خال... وسأخبره أن الأماكن المغلقة تصيبنى بضيق فى التنفس...

إذا علىَّ أن أكذب لاسترداد جميع حقوقى...

إن الكذب ليس من طبعى... ولكن الظروف التى هى أقوى منى تلزمنى أن أحتمى به... لأن الصدق لم يأتِ لى بنتيجة...

والآن ليس معى عنوانه... إذاً علىّ أن أستدرجه حتى يعطينى عنوان منزله وسوف أخبره أننى عائد غداً للقاهرة...

أخذت موبايل شيرى، وضغطت أصابعى الأرقام، فأتى صوته:

- مسيو ويل ريموند... اسمح لى... محيى مع حضرتك... ياريت التذكرة تلغيها... لإنى لازم أرجع مصر لظروف عائلية.

- OK مستر محيى... وبكدا يبقى عندنا وقت أحسن.

ثم طلب منى أن أحادثه على الموبايل الذى معى رقمه فشكرته، وقد أعطيته رقم الموبايل الخاص بى فى القاهرة فكتبه... وأعطانى عنوان منزله فى كاليفورنيا، الشىء الذى لم يصرح به من قبل، ذلك لأنه تأكد الآن من عودتى للقاهرة...

ثم سألته السؤال الأخير: اسمح لى... ما مواعيدك اللى تكون فيها موجود فى البيت؟

فرحب الرجل معطياً لى مواعيد تواجده فى المنزل... وكانت هذه آخر مكالمة بينى وبينه... بعدها أخذت حباية منومة... ونمت يوماً كاملاً دون أن أحس بوجودى...

(٢١)

مر يوم آخر قضيته فى تأمل خطتى ووصول التذكرة، وفى الواحدة مساءً دخلت مطار نيويورك لكى أستقل الطائرة المتجهة لولاية كاليفورنيا المقيم فيها هذا الويل ريموند... وقد تلفحت بـچاكيت

صوف سميك وجوانتى فى اليد وطاقية سوداء على رأسى وحذاء ملىء بالفرو وفى يدى الأمبيريلا وفى اليد الأخرى شنطة السفر...

كانت تجلس بجانبى فتاة مشرقة الجمال فى الكرسى الداخلى وكأنها الشمس لحظة بزوغها، وبدأ التكييف يدب فى الأطراف المثلجة ومن لذّة الدفء وإرهاق الفكر نمت ساعتين حتى أيقظتنى المضيفة بفنجان شاى فعادت لى قواى المسلوبة... وشردت منى نظرة دون علمى لشيطانة الجمال والأنوثة المتفجرة التى تسكن بجانبى فوجدتها متجهمة وهى تسدد لى جملة بالإنجليزية وكأنها طلق نارى...

من فضلك عاوزة أروح التواليت... وكل ما أحاول أصحيك ترمى دماغك ع الكرسى وتنام ودى تالت مرة أصحيك عشان أخرج... فلو سمحت فيه كرسى للنوم فى آخر الطيارة...

تأسفت لها وَخَرَجَتْ من هذا الحبس... وهى تجرى وتترنح فالحاجة على وشك الخروج...

قضت حاجتها ثم عادت، فوقفت لها مبتسماً ودخلت فى كرسيها وبدأت تقرأ مجلة عالم المرأة... وأنا أشاهد شاشة التليفزيون التى أمامى حتى جاء خبر قناص واشنطن المروع...

فقلت لها فجأة دون أن يكون بيننا أى كلمة مشتركة من قبل:

- سنيبر واشنطن دا راجل ولا ست...

فنظرت لى مبتسمة وهى تقول فى لا مبالاة:

- رأيك إنت إيه...؟

- أعتقد أنه راجل...

فقالت وهى تقرأ: يبقى راجل...

- ثم أضفت: وليه اختار واشنطن؟
- وليه يختار نيويورك؟... هو عاوز كدا...
حاولت أن أغير الموضوع فقلت:
- نيويورك جميلة
- فقالت: هل أنت أميركى؟
- لا
- فرنسى؟
- لا
- إسبانى؟
- لا، ثم قلت أنا مصرى...
- الأهرامات جميلة...
- جميلة
- ثم قلت لها فجأة: أنا مسافر كاليفورنيا علشان أمثل فيلم مع المخرج العالمى ويل ريموند...
- فقالت لى: من يكون ويل ريموند؟
- مخرج أمريكى يعيش فى كاليفورنيا بالقرب من سان فرانسيسكو.
- آسفة فأنا أدرس الطب...
- دكتورة
- بعد عام أصبح دكتورة ولكننى الآن أشتغل وأدرس لأن مصاريف الجامعة هنا باهظة...
- أنا أعيش فى بنسلفانيا...

- وأنا كنت فى زيارة لنيويورك فوالدى متزوج هنالك... وكـذلك والدتى وكنت فى زيارة لهما.
- لم أزر كاليفورنيا من قبل.
- هنا الفن كله وعليك بزيارة ستوديوهاتها...
- أكيد...

أحسست بالنوم وقد بدأ يداعب جفونى فاستأذنتنى أن نستبدل الكراسى... فوافقتها وفى كرسيها الذى أنا فيه الآن أخذنى النوم بعيداً بعيداً.

مذعوراً صحوت من النوم وقد تلاحقت أنفاسى حتى هدأت تماماً فاستأذنتها خارجاً من الكرسى الجانبى... دخلت الحمام طَسَسْتُ وجهى بالماء حتى عادت له اليقظة ونظرت له فى المرآة فوجدته سكراناً... لماذا أحس بأن وجهى قد لفته التجاعيد من كل جانب... لكننى قلت لنفسى: هذه هى هلاوس فى داخلى، ذلك لأننى مجهد فى التفكير طوال الثلاثة أشهر هذه...

عدت للكرسى وأنا أتجمل بابتسامة ترفض أن تثبت ولو للحظات...

- آسف أصلى مانمتش بقالى ٣ شهور.
- ٣ شهور؟
- ٣ شهور.
- أنت بقى الراجل واللا السنيير واللا الرجل العنكبوت واللا السوبر مان؟
- أنا السوبر بدنجان.

- يعنى إيه؟

ثم نظرت لعينيها المفرفشتين وقلت لها: حضرتك إسمك إيه؟

- روزيتا

- وأنا اسمى محيى... ممكن لو سمحتى أسألك سؤال؟

- نعم

- تعرفى شكسبير... وليم شكسبير؟

- دا الكاتب الإنجليزى المشهور.

- هل قرأتى مسرحياته؟

- شفت له فى برودواى هاملت وماكبث وعطيل

- حضرتك مثقفة...

- أشكرك

- قرأتِ هاملت كويس

- هاملت أمير دانماركى...

- فاكرة الممثل اللى مَثّلهُ الروسى.

- أنا شفت هاملت الأمريكى على المسرح.

- طيب فاكرة هاملت الإنجليزى.

- مين هو؟

- لورانس أوليـڤـيه

- لا

- تحبى أمثلك مونولوج من هاملت.

ابتسمت فى رقة ثم قالت فى دهشة، حقيقى ممثل...

- وهذا هو الباسبور.

أخرجت لها الباسبور وقرأت مهنتى المكتوبة فى الباسبور باللغة الفرنسية Acteur يعنى ممثل... فزادت دهشـتها وهـى سـعيدة... فاستأذنتها خارجاً من الكرسى فأصيبت بدهشة أكثر لقلقى هذا...

امتدت يدى وفتحت حقيبة الشنطة وأخرجت حقيبتـى الهانـدباك وأخرجت لها صورتى بالألوان وعليها توقيعى... واستسمحتها فى أن أهديها لها فوافقت.

عُدت للكرسى وبدأت أستغرق فى استحضار مونولـوج هاملـت الشهير "أكون أو لا أكون" وهى تنظر لى مذعورة وتسأل:

- مالك...

- إنى أحاول أن أستدعى هاملت لأتقمص الشخصية...

وبينما هى تنظر لى فى استغراب وأنا أدخل فى إهاب الشخصية بدأت فى تمثيل المونولوج الشهير به فى المسرحية:

To be or not to be,
That's the question

أكون، أو لا أكون
تلك هى المشكلة
أى الحالتين أمثل بالنفس
أتحمل الرجم بالمقاليع وتلقى سهام الحظ الأنكد
أم النهوض لمكافحة المصائب حتى ولو كانت بحراً عجاجاً.

وما إن انتهيت من التمثيل حتى وجدتها تنظر لى فى استغراق... ثم بدقة وبرقة، وبهدوء اقترب رأسها منى بسلاسة وطبعت قبلة علـى خدى...

ثم قالت:

- كم يوماً ستمكث فى كاليفورنيا
- سبعة أيام...
- هل تصوير الفيلم يستغرق سبعة أيام فقط؟
- فتداركت الموقف مصححاً... أنا جاى أوقع العقد هنا... وأعرف موعد التصوير وأتفسح شويه ثم أعود لبنسلفانيا ومنها للقاهرة...
- هزت رأسها معلقة: هل أنت ممثل كوميدى أم تراچيدى؟
- تراچيكوميك ولكنى أميل لتمثيل الأدوار المركبة الصعبة مثل وارن بيتى ودى نيرو وهوفمان وباتشينو ومونتى...
- من مونتى؟
- مونتجمرى كليفت الذى مثل تشايكوفسكى وفرويد
- هل أنت أمريكى؟
- لم أحمل الجنسية بعد.
- وأنت؟
- أمريكية... هل تعرف كيف تصل للمكان الذى ستقيم فيه؟
- أقرب برجولا أصادفها سأنزل فيها...

فضحكت بشدة ثم قالت:

- أنا لا أحب الاندماج فى الآخرين.
- فقلت لها متأسفاً: أنا لم أطلب منك شيئاً ومعى Credit Card وعندى دولارات فى البنك وهذا هو عنوان إقامتى فى بنسلفانيا

وأخرجت لها كارتاً بذلك... وهذا هو عنوان إقامتى فى بلدى... وأخرجت لها كارتاً بذلك.

ثم قلت:

- فى أى عمل أنت تعملين؟
- فى المساء أعمل فى مطعم يقدم الأكل والموسيقى والرقص، وأذاكر بالنهار. واليوم أنا فى إجازة... فإذا أحببت أن تتناول معى الفطور فمرحباً...
- فسألتها هل أنت متزوجة؟
- لا

خرجنا من المطار وأخذنا شنطنا ووضعناها فى تاكسى أجرة قاصدين منزلها... وما إن وضعت حقيبتى ودخلت منزلها اتجهت هى للمطبخ لتعد الفطور... وقد غلبنى النوم، فأحضرت بطانية وغطتنى بها ودخلت هى حجرتها الأخرى ونامت...

٤ ساعات نسيت فيها نفسى تماماً والزمان والمكان ولا أعرف عندما استيقظت أين أنا وما الذى أتى بى إلى هنا حتى استجمعت قواى وأدركت أننى هنا فى صالة منزل روزيتا الفتاة الأمريكية ذات الثلاثين عاماً هو عمرها والتى تتفجَّر أنوثة من كل جوانبها، يديها، عينيها، شعرها، خدودها، أردافها، رجليها، فخذيها، شفتيها، صوتها، كل شىء فيها شيطانى، وكان علىّ أن أقاوم إذن، لا مفر. إذا كان ولابد وغلبنا الشيطان أن أتزوجها... ولكن السؤال هل ستوافق؟ فوجدت نفسى أسأل نفسى... ومين قالك إنى أنا حتجوز؟

استيقظت روزيتا وخرجت من حجرة نومها ترتدى تى شـــيرت وشورت وهى تمر من أمامى ملوحة بيديها:

- هاللو محيى
- فقلت هاللو روزيتا
- فقالت Happy nice night ليلة سعيدة...
- ليلة سعيدة طبعاً...

ثم خرجت من المطبخ فى لهفة محاولة تقبيلى ولكنى تراجعــت برأسى للوراء...

فنظرت لىَ فى استغراب وهى تقول لى:

- Body call!! نداء الجسد... جسدى يطلبك...
- لماذا...
- اسأله هو الذى يطلب...

وعندما تجهمتُ ضَحِكتْ وتركتنى وقصَدت ثانية المطبخ... وقد أعدَّت لى لحم الخنزير مع زجاجة نبيذ وسلطة خضــراء ومكرونــة لازانيا وكاتشب...

وطلبت منى أن أشاركها الغذاء...

- أنا لا آكل الخنزير؟
- إذن ماذا تحب أن تأكل؟ الثلاجة بها كل شىء... اتجــه إليهــا واختر ما تريد
- فقلت آكل خس وجبنة وطماطم وتونـــة وأحلّـــى بالتفاحــة دى وأشرب كوباية شاى وشكراً...
- OK تستطيع أن تعد غذاءك بنفسك.

أعددت بالفعل غدائى بنفسى ووضعته على صينية استقرت على السفرة وبدأنا نأكل... كل يأكل - بطريقته وباختياره - ما اختار.

كنت آكل وأنا أجلس فى قبالتها... فقالت: لى لمــاذا لا تجلــس بجانبى؟

- أنا مستريح هكذا.
- إذن اسمح لى أن أجلس أنا بجانبك.
- كما يحلو لك فهذه كراسيكى وهذا منزلك... وأنا ضيفك...
- جلست بجانبى ولكن صهداً نافذاً ساخناً بدأ يتسلل إلىَّ فقلت لها:
- لماذا لا تتزوجين وأنت الفتنة بعينها؟
- تزوجت كثيراً وفشلت... هل أنت متزوج؟
- لا
- لماذا؟
- حاولت مرتين ولكنى لم أوفق.

أخذت حقيبتى وقد فتحت الباب بسرعة فوجدتها تلاحقنى سائلة:

- هل ضايقتك... لماذا تجرى خائفاً منى؟
- لست بخائف منك ولكنى أخاف الله...
- قل لى أين الله؟...
- فيكى وفىّ... فالذى أنعــم عليــك بهــذا الجســد هــو الله... فاشكريه...
- وكيف أشكره؟
- لا تخطئى ولا تعطى جسدك لأى أحد... أعطيه لرجــل واحــد تهبينه حياتك ويهبك حياته...

- فشلت...
- ابحثى عن آخر...
- سأحاول ولكن أين هو؟
- ابحثى عنه
- هل توافق أن تتزوجنى؟
- دعينى أفكر...
- أريد أن أتذوق لحم إنسان شرقى...
- أستسمحك فى الخروج فلقد حان موعد رحيلى...
- ومتى ستعود؟
- عندما أنتهى من مشاويرى...
- هل معك موبايل لتكتب تليفون المطعم والمنزل.
- لا...

أخْرَجَتْ كارتاً يحوى عنوانها وتليفوناتها فأخذته شاكراً...

ثم فجأة وبدون تمهيد ارتمت فى صدرى ثم لفت ذراعيها حول ظهرى وجذبتنى لها جذباً فوجدت نفسى فى أحضانها فنامت على كتفى بينما أنا منتصب القامة مرفوع الرأس... أسدلت رأسها علىَّ وهى تتمتم لماذا لا تودِّعنى... وخفت أن تشك فى رجولتى فاحتضنتها بشدة.

وغاصت فى داخلى لدقائق دون أن تنسلخ منى... وأنا أمثّل عليها صدق مشاعرى الكاذبة فى هذه اللحظة... فبدأت تفك ذراعيها بالتدريج من حول ظهرى وهى تتراجع للخلف وتنظر لوجهى بدهشة...

قبلت رأسها وانحنيت على حقيبتى قاصداً باب الخروج... وهى تسأل:

- هل تعرف المكان الذى تتجه لـــه الآن؟ هـــل معـــك خريطـــة لكاليفورنيا؟
- لدىَّ كل شىء... فقط أريد الخروج...

أخذت مفتاح عربتها الفورد وهى تنظر فى عينى نظـــرات هـــى التى تعلمها ثم قالت:

- سوف أوصلك بعربتى للمكان الذى تريده...
- أنا... أعرف المكان جيداً... أشكرك...
- لى ساعات فراغ كثيرة... وأنا فى إجازة.

ولما وجدتها مُلِحَّة قلت لها:

- موافق...

ثم عدت ثانية لكى أوافق واشترطت عليها:

- عندما أشير عليكى بالتوقف... عليكى أن تتوقفى حيث ســـتأتى عربة تأخذنى حيث المكان الذى أقصده... اتفقنا...
- اتفقنا...

ثم حاولت أن تداعبنى كدكتورة أسنان على وشك التخرج...

- لو سمحت افتح بقك... أرنى أسنانك... أوه... أسنانك تحتـــاج لرعاية... ففهمت ما تقصد...

خرجت وأنا أحس بأننى الآن حر... فإنى أعرف قيد المرأة جيداً وكيف تسجن الرجل بشتى الطـــرق الواضـــحة والملتويـــة وأيضـــاً المريحة...

تقدمتنى روزيتا وهى تفتح لى شنطة عربتهـــا حيـــث وضـــعت حقيبتى وانطلقت بنا عربتها قاصدة سان فرانسيســـكو حيـــث علـــت

الموسيقى بصوت توم چونز... وهو يغنى أغنية Woman... عن المرأة... فقلت لها: ولماذا هذه الأغنية... فضحكت دون رد وهى تردد كلمات الأغنية بصوتها...

ثم قالت:

- لماذا تخاف... ما كل هذا الخوف الذى يعتريك؟ إن الحياة لا تعترف بالذين يخافون...
- أنا لا أخاف... لكن... هناك فرق كبير بينى وبينك... أنا من الشرق وأنت من الغرب... أنا فنان وأنت دكتورة... أنا مصرى وأنت أمريكية... أنت تسكنين فى الغرب وأنا أسكن فى الشرق...
- نتزوج.
- ولكن موضوع الزواج هذا ليس فى ذهنى...
- إذن لا نتزوج... نعيش أصدقاء...
- لم أفكر بَعْدُ أن أعيش هنا...
- لا تكن متزمناً... كن معاصراً... وحاول أن تفكر بمرونة... الحياة بسيطة وسهلة فلماذا نعقّدها... أنا سأساعدك... أنت مازلت خجولا ودمك خفيف. يقولون إنكم تطلقون النكات طوال اليوم وأنا أحب الضحك... ولا أحبك مقطب الجبين هكذا فأسمعنى بعض النكت كى نضحك، للآن نحن أصدقاء، بعض النكت لو سمحت...

أسعفتنى ذاكراتى فتذكرت بعض النكت التى أطلقتهم بسرعة نكتة ورا نكتة... (فلاّح جه يفلح مافلحش، طالب جه ينجح مانجحش، واحد

غسل هدومه ونشرها فى جرنال، واحد وطّى التليفون وعدّى من فوقه، واحد علّى التليفون وعدّى من تحته)... كانت تضحك وأنا أترجم لهـا ما بين السطور...

ثم توقفت العربة واستأذنتها فى حقيبتى... ففتحـت لـى شـنطة عربتها وأخذت الحقيبة وبينما هى تغلق شنطة العربة غـافلتنى وقـد تشعلقت فى رقبتى تقبلنى وكان كل صراعى أن أفك يديها المعقودتين حول عنقى... ونجحت فى ذلك... ولممت نفسى بسرعة وأنا أحمـل حقيبتى مشيراً لأحد تاكسيات الأجرة... وركبـت التاكسـى واضـعاً الحقيبة فى شنطته وهى تعدنى أن أتصل بها قائلة لى:

- هناك مفاجأة سعيدة ستنتظرك...

ودعتها وانصرفت لمأساتى...

(٢٢)

انطلق التاكسى بى قاصداً سان فرانسيسكو بينما هـى انطلقـت وراء التاكسى تتبعنى... وبدأت أشك فى هذه الفتـاة... فطلبـت مـن السائق أن يخدع هذه العربة الفورد التى ورائى ويدخل فى أى طريق جانبى...

فضحك السائق وقال لى: اترك لى هذه المهمة... وبالفعل خدعها فتركها تنطلق بسرعة حتى كانت وراءها سلسلة عربات مسرعة خلفها غَطّت على عربتها تماما فى نفس اللحظة الذى أوقـف هـو عربتـه

متسللا بها من شارع جانبى دون أن تحس هى بذلك ونجحت المهمة، ثم سألته عن أقرب موتيل هنا.

فقال وهو يبتسم: فى هذا الشارع موتيل بـــ ١٠٠ دولار فـــى اليوم، فقلت له: هذا ما أريده... عليك به...

حجزت حجرة لمدة سبعة أيام فى الموتيل ووضعت حقيبتى فـــى الكلوزت وأنا مجهد واستغرقنى النوم فنمت ولم أصحُ إلا فى صـــبيحة اليوم التالى فى العاشرة صباحاً.

وفى كافيتريا الموتيل سألت الجرسون الذى قدم لى الشاى عـــن بانفلت الأماكن السياحية هنا فقال لى سوف أحضره لك... أحضره... تصفحته جيداً ثم خرجت للشارع قاصداً التليفون، وطلبت ويل ريموند وقد غيّرت من نبرات صوتى حتى لا يعرف صوتى... وما إن سمعت صوته جيداً حتى وضعت السماعة بسرعة.

وبينما الهواء يعوى، والشمس قد غاب دفئها والمطر ينزل فردت الشمسية وأنا أجرى فالهواء الخارج وكأنه من الفريزر يُطيح بـــالمطر ليستقر على نظارتى لتضبب الرؤية. ولا أستطيع مســح زجاجاتهـــا، خلعتها، وأنا أسرع الخطى... مشيرا لتاكسى دخلت فيه... أحسســت بدفء التكييف، أخرجت عنوان ويل ريموند لأسأل السائق عنه فقـــال لى: بعد نصف ساعة من هنا تجد هذا العنوان.

فقلت له: OK عليك بالعنوان... وانطلق التاكسى.

هل تعرف الرجل الذى يتصدر إعلانات ميشلان للكاوتش، هـــل تعرفه، مثل إعلانات ميشلان عن الكاوتش، كان شـــكلى، فقـــد كنـــت أرتدى أكثر من بلوفـــر وعليهم جـــاكت منتفخة كبيرة وقـــد غطيـــت

وجهى بطاقية سوداء لا يظهر منها سوى عينى وارتديت الجوانتيـــات فى يدى والحذاء المبطن بالشعر ذو الرقبة الطويلة وأخفيت كل معالمى ولا يستطيع أحد أن يتعرف علىَّ بسهولة...

توقف سائق التاكسى وهو يشير بإصبعه... هذا هو المكان وهذا هو الرقم، وهذا هو البيت، تأكدت جيداً مرة أخرى من العنوان بعد أن طابقته على المكان الذى أنا فيه الآن... فتيقنت أنه هو بيته... تحصّنت ببرجولا بعيداً عن منزله... وجلست أنتظر خروجه... مرت ساعة ثم ساعة ثم ساعة... ثلاث ساعات ثم من على بعد وجدت فتاة تخرج من باب مسكنه ووراءها ظهر هذا المـــراوغ الـــذى اغتصــب تفكيـــرى وأهلكنى شكاً فيه...

إنه هو ويل ريموند... فعندما تنظر مثلى مـــن هـــذه النظـــارة المعظمة التى على عينى ستجده على بعد مترين فقـــط وقـــد تجسّـــد أمامك... إنه هو وقد أصبح فى الخامسة والستين من عمـــره ينـــزل سلالم مسكنه وكله ثقة وكبرياء... وهاهو قـــد انتهـــى مـــن نـــزول السلالم... وهذه الفتاة الناصعة البياض ذات الوجه الأحمر والتى تبلـــغ من العمر الأربعين عاماً تتقدمه، لتفتح له باب عربته اللنكولن.

خرجت من الكلوزت كالمسعور مسرعاً لأوقف تاكسياً وانطلقـــت خلفه وأنا أشير لسائق التاكسى أن يتبع هذه العربة اللنكولن، واستطاع هذا السائق الماهر أن يلحق به، وبعد عشرين دقيقة توقفـــت عربتـــه، ونزلت منها هذه الفتاة الجميلة وفتحت له باب النزول فخرج فى ثقـــة وكبرياء متجهاً لإحدى المطاعم... طلبت من الســـائق أن ينتظرنـــى وأعطيته بعض الدولارات مقدماً، وكم كان مندهشاً من تصرفى هذا...

دخلت المطعم أتتبعه فأنا الآن الرجل الكاوتشوك، فشكلى الآن كروى للغاية، ومن على بُعد جلس ليتناول غداءه ومعه الفاتنة، فجلست أيضا أتناول غدائى ولكن من على بُعد، وأنا أراقبه وما إن انتهى من الأكل وهمّ بالوقوف، حتى كنت أنا قد سبقته ودفعت حسابى وخرجت أنتظره فى التاكسى...

خرج ويل ريموند المنتفخ شبعاً وبدأت الطقوس، هى تفتح له باب عربته اللنكولن... الرجل جلس وقد رمى رأسه للخلف فبدا أكثر شموخاً وانطلقت عربته ونحن وراءه بالتاكسى.

كانت المدة بين بيته والمطعم نصف ساعة... وتوقفت اللنكولن أمام منزله ودخلا وأغلقا الباب.

الساعة الآن الرابعة... ومن الساعة الرابعة ظهراً وحتى الساعة الثانية مساءً بعد منتصف الليل ظللت قابعاً فى البرجولا حيث الرجل لم يخرج مما اضطرنى لتركه بعد قضاء ١٢ ساعة عشتها فى الصقيع وأنا أحمل فى يدى شنطتى الهاندباج أبحث عن مكان دافئ فقد تجمّد وجهى وأصابع قدمىّ وتاقت النفس المشدودة لبعض الترويح فمن يُضحكنى الآن وأصدقاء الفرفشة هم الآن فى مصر. ولا أنيس لى فى هذه الغربة التى تعوى سوى جروحى.

قلت لنفسى: الآن تأكد ويل ريموند أننى فى القاهرة ولاشك فى ذلك... مما جعلنى أحس بالأمان هنا وأنا على أرض كاليفورنيا فى ولاية لوس أنجلوس...

امتدت يدى لشنطتى الهاندباج مخرجا الدليل وقصدت مطعماً يقدم شوهات استعراضية أجنبية أمريكية وقد امتلأ المطعم الساهر هذا

بالشّيش... فمن أتى بهذه الشيش إلى هنا؟ لاشك أنهم المصريون، فقد كان المطعم مليئاً بهم وهم يُرحبون بى ويصفقون ويهللون محيى محيى...

وسرحت فى عقلى وأنا أردد بينى وبين نفسى: إن القوة فقط بيدها البطش بأى إنسان وتدميره مهما كان وضعه مادامت العدالة لا تلعب دورها.

جلست فى المطعم الساهر الدافىء وأحسست كأننى أبو فروة يتراقص على فوهة نار من شدة الألم... التف حولى المصريون يسألون وأنا أجيب، وحتى الصباح... لكننى لاحظت اثنين منهم يجلسان على بُعد يتأملاننى بالساعات ولم تفارق نظرات عيونهم عَيْنَىَّ فأشرت لهما... فتقدما فى خجل وجلسا فى استحياء... ولاحظت عليهم الشحوب والنحول...

فقلت ساخراً أنتم محللتوش فى مصر قبل ما تيجوا هنا... فضحكا...

فقلت: تفضلا... فجلسا، أتشرف بأسمائكم...

جلال...

حسين...

- أهلا أهلا

- أهلا بيك أنت فى كاليفورنيا.

وبدأ الحديث... قال جلال: أنا مصرى أمريكى بقالى هنا ١٠ سنين وحسين زيى مصرى أمريكى بقاله ١٠ سنين جينا مع بعض وإحنا طلبة ومارجعناش لحد دلوقتى... اشتغلنا فى مطاعم وبنزينات

وأجنسات عربيات وسوبرماركات وفى محلات البيتسا لحد ربنـــا مـــا أكرمنا... لكن بقالنا سنة من غير شغل...

ثم قالا:

- ونحن الآن نفكر فى العودة إلى مصر... هنا فيه إمكانيات لكن مفيش حياة.

فقلت له: كن موضوعيا لا تستعلى على من أعطاك ولا تستخف فأنا أرى أن أمريكا أعطتكما كل شيء، الهواء النقى، المسكن الصحى، حقوقك المادية، أمَّنَتك، تعالجك، أركَبتك عربة أخذتها بـــدون معانـــاة وبسعر رخيص، أوْجَدَتْ لك فرصة عمل فور وصولك، وتعطيك بدل بطالة. فلماذا لا تشكر الله على ما قدمته لـــك أمريكـــا مـــن حقوقـــك كإنسان...

قالا: ولكننا الآن بلا عمل.

- ولكن ما تحقق لكما من الصعب أن يتحقق لكما فى بلـــدك الآن فاشكر الله فهناك ملايين فى العالم يتضورون جوعاً لم يحققـــوا ١% مما حققتموه...

فيه ثلاثة بلايين من البشر يعيشون دون صرف صحى
وبليون ونص بليون لا تصلهم المياه النظيفة
وبليون وربع مليون لا يجدون مأوى
ونصف بليون لا يتوفر لهم الحد الأدنى من الغذاء
و ٨٠ ألف طفل يموتون يوميا بسبب سوء التغذية
وتأكد جيداً أن غِناك فى نفسك وقيمتك فى عملك...

قال جلال: بس يا أستاذ محيى... صحيح البلد جميلة بس حاسس بالغربة وعدم الألفة مع الآخر هنا...

قلت لهما: أصل دى مشكلة عالمية لأن وسائل الإعلام ساعدت على القضاء على الألفة وفكرة حصولنا على الحكمة، لأن ما نتعلمه منها لا يقوم على تجارب متراكمة لمن نعرفهم ونثق فيهم بل على مفاهيم مراهقين. المهم، أنت الآن تتبع أمريكا وتقاليدها وهذا هو دينها وهم ملتزمون بدينهم وبتقاليدهم فالتزم أنت أيضاً بدينك.

قال جلال:

- هل هذه هى المرة الأولى التى تزور فيها أمريكا؟
- نعم
- وبقالك أد إيه؟
- ٣ شهور.
- انطباعك إيه عن أمريكا؟
- أمريكا هى الجنة والنار سياستها الخارجية شديدة التعقيد ولا أفهم حساباتها... أما سياستها الداخلية فهى تراعى الإنسان بصرف النظر عن لونه وجنسه وديانته، فأنا دخلت المطار فى دقيقة... لم يفتش أحد لى شنطة رغم أننى مصرى... لم يحتك بى أحد طوال مدة إقامتى هنا... الكل هنا يتعامل معى بمنتهى الرقة والبشاشة والأدب. احترام الإنسان هنا هو كل شىء... لى صديقة مسلمة مصرية تعمل فى الكمبيوتر هنا تسلمت اليوم الـ green card... هذا دليل على إعطائهم حقوقهم بعيدا عن السياسة والحرب.

- قال حسين: حضرتك معانا فى كاليفورنيا كام يوم؟
- أسبوعين...
- يبقى حضرتك تجيب شنطك وتقعد معانا اليومين دول...
- لا أنا جاى أخلّص مهمة ولازم بعدها أنــزل مصــر والمهمــة تستغرق يومين فقط.
- أى مساعدة نقدر تقدمها...
- أنا حاسس إنكم بقيتم قريبين من قلبى...

فقال جلال:

- دا حضرتك اللى قريب من قلوبنا، وهكذا أكّد حسين مــا قالــه جلال...

اطمأننت لهما وقلت: أنا بصراحة جاى آخد حقــى مــن إنســان ظلمنى هنا فى كاليفورنيا.

فقال جلال: معقولة، ما حضرتك أهه زيّنا مظلوم.

فقلت: لا أنتم أخدتم حقوقكم، حتى لما استغنوا عنكم أعطوكم بدل بطالة.

فقال حسين: مضبوط...

فقلت: أما أنا، ففيه واحد ضحك علىّ وضيّع على ٢ مليون جنيه مصرى.

برقت عيناهما ففغرا فمهما.

ثم قال جلال: أنا لو حَصلّى اللى حصلك أنا كنت قتلته – وأكــد حسين ما قاله جلال.

فقلت لهما: لكن أنا بافكر فى طريقة أحسن دون إراقة دماء...

قال حسين: إيه هيّ.

- حاقول لكم.

ثم ناديت على الجرسون لكى أدفع الحساب ولكنهما أصرا على الدفع وهما يتصايحان: عيب إنت هنا ضيفنا... وكمان فضلتنا على غيْرنا وقعدت معانا... شكرتهما وخرجنا من المطعم.

وبدأت أشرح لهم قصتى مما جعلهم يتعاطفون معى وقلت لهم: سنلتقى بعد أسبوعين، كنت قد قضيتهم بمفردى فى دراسة كاليفورنيا بدقة دراسة مستوفية.

وجاء يوم لقائى بهم. اليوم اشترينا الطاقيات السوداء والجوانتيات التى سنلبسها واستطعت أن أشترى ثلاث مسدسات وأقنعتهم بأننى سأهدده فقط، أما موضوع القتل هذا فليس بوارد، فمن قتل نفسا بغير حق، فكأنما قتل الناس جميعا.

فقال حسين: ما أنت ليك حق... دا كفاية عذابك الثلاث شهور اللى ماشفتش فيهم النوم، مش دا قتل برضه؟

فقلت: لا دا عذاب نفسى قاتل، وحقى سآخذه بالقوة وليس بالقتل... ولكن القوة تحتاج لتخطيط وذكاء ودراسة الزمن بدقة، وهذا ما توصلت له فهيا بنا لننفذ الخطة المحكمة...

فى اليوم الثالث من معرفتى لهم انطلقت بعربة حسين الذى كان يقودها وقد ارتدينا الطاقيات السوداء وأخفى كل معالمه ودَسَّ كل واحد منا مسدسه... فى جيبه...

وصلت العربة... وفى السادسة صباحاً جلسنا ننتظر خروج ويل ريموند ومعنا أكلنا، وحتى العاشرة صباحاً لم يخرج، فتوجهنا بأكلنا

للبرجولا كى نستريح وأنا أراقب بنظارتى المعظمة فتحة خروجه من الباب...

مرّت الساعة الحادية عشرة، والثانية عشرة، والثانيـة... وفـى الثالثة خرج الرجل وبرفقته الحسناء... خرج نازلا السلالم فى بـطء وما إن انتهيا من السلالم حتى انقض حسين وجلال وبسرعة شديدة تمّ اختطافهما بالمسدسات وأدخلاهما عربة حسين.

كنت أنا أجلس على كرسى القيادة بينما جلال يوجهنى للطريـق وعند إحدى البحيرات حيث لا أحد توقفت العربة وكان الشاهد الوحيد الذى يرانا الآن هو البط البرى الذى يعوم فى هذه البحيرة الآن، وكان علىّ أن أغير من نبرات صوتى، فويل يعرف صوتى جيداً...

صوّب جلال مسدسه لرأس الجميلة وصوّب حسين مسدسه لرأس ويل وحسب خطتى ومعرفتى بالأمريكان أنهم يحملون فـى جيبـوبهم حافظة تحوى كروت الشراء والبنوك، إذا فلابد من أخـذ الكريـديت الجولد والبلاتينيوم ورقم حسابه فى البنك.

٢٥٠٠٠٠ دولار، آخذ مـنهم ١٥٠٠٠٠ دولار ويأخـذ جـلال وحسين ٢٠٠٠٠ دولار لظروفهما التى جعلتنى أتعاطف معهما.

وأمام الخوف الذى أربكه والقتل الذى ينتظره من خلال تهديـده بالمسدس المصوّب على رأسه، أخرج ويل كروته وقال أرقام السحب.

أعطانى جلال وحسين الكروت التى انعقد عليها الأمل فتركتهما مسرعاً وهما مازالا يصوّبان الأسلحة على رأس ويل والحسناء التـى ترافقه... وانطلقت بتاكسى... متوجها لماكينات النقـود... وسـحبت المبلغ المنشود بالجولد وبالبلاتينيوم...

وكريح صرصر عاتية عدت لهم مسرعا الخطى وسط الصقيع والرياح والمطر وأنا أدس الـ ١٥٠٠٠٠ دولار تحت ملابسى الداخلية ومسدسى الكاتم فى يدى...

أوقفت تاكسياً قاصدا عربة حسين عند البحيرة... وكان معى عنوان المكان وقد حفظته جيدا حتى لا أتوه... ودخلت عربة حسين.

فى خلال ساعة انتهى كل شىء حيث تسللت يدى مندسة دافسة فى جيب بنطلون جلال ١٠٠٠٠ دولار وجيب حسين ١٠٠٠٠ دولار وأخذت أنا الباقى كما وعدتهما وأعاد حسين الكروت الذهبية والبلاتينية لحافظة ويل ريموند... ثم أطلقنا سراحهما ليذهبا لحال سبيلهما.

وبينما هما ينزلان من عربة حسين كان ويل ريموند يتلكع فى النزول فهددته بمسدسى ولكنه لم يُراعِ تهديدى، وهنا صاحت سابرينا المرافقة: دَعُوه ينزل ببطء فهو مريض وأنا سابرينا زوجته الأمريكية، فزوجى مصاب منذ عام ١٩٩٥ بعد أن أخبرنى أنه مسافر لكى يأتى لنا بنقود كثيرة فى مقابل أن يُصوّر أفلاما تسجيلية عن حرب الخليج يعود بها لهنا لنبيعها فى الأسواق (كبزنس)، ولكنه عاد لى مصاباً فى يوم هزّ وجدانى، وأصبت بحالة من الألم والحسرة والهيستيريا عليه، فلقد استنشق غبار اليورانيوم، الذى اخترق ملابسه وجلده، وسرى فى دمه وكانت العراق هى السبب...

وزوجى الذى ترونه أمامكم، سبّب له هذا الغبار القاتل ضغطاً فى الدم، وقد ينفجر مخّه فى أى لحظة إنه يتناول يومياً ولسنوات ما بداخل هذه الزجاجة ١٥ حباية يوميا وهاهى الزجاجة تؤكد ما تقول... إن زوجى مصاب الآن باضطراب فى تفكيره، وقد يتصوّر أحياناً أنه

يستدعى أحد أبطاله لكى يبدأ معهم تصوير فيلمـه الجديـد، وبالفعـل يتصل بهم... وأنا بدافع الشفقة عليه، لأننى أحبّه، أتركه يعـيش فـى تصوّراته الخيالية حتى أريحه... فالحرب قضت عليه تماما ولم يعد لى منه شيء... ثم دسّت يدها فى شنطة كانت تحملها فى يدها، قائلة: لقد تقابلنا صدفة وأنا الآن كنت فى طريقى للمصحة التى يُعالج فيها، ليس هو فقط ولكن معه ثمانون ألفاً من الجنود الأمريكيين الذين اشتركوا فى حرب العراق يعالجون معه، لأنهم استنشقوا مثله غبـار اليورانيـوم، وغاز الأعصاب، أؤكد لكم أن العراق هى السبب فيما أصاب زوجى.

أخرجت كارت علاجه، وقالت: مـن مـنكم يجيـد الإنجليزيـة فليقرأ...

وبدأت أقرأ التقرير (ويل ريموند أصيب فى حرب الخليج، وهو يُصوّر فيلماً تسجيلياً هناك مُصاباً بغبار اليورانيوم، حيـث تـم نقلـه بطائرة حربية مع آخرين، ليبدأ علاجه هنا فى إحدى مصحات واشنطن مع ٨٠ ألفا آخرين...

ثم أضافت سابرينا زوجته... لقد توفى ١٥ ألف أمريكى من بين ٢٠٠ ألف جندى أمريكى شاركوا فى حرب الخليج...

وإذا كان مع أحدكم موبايل فليتصل بهذا الرقم رقم المصحة التى يُعالج فيها وهذا رقمه ٢٥٠٠ ويل ريموند مصاب بسرطان فى الـدم والكبد ومشوّش الذاكرة... وهذا تليفون المصحة ٦١٠٧٨٢٧٤٤١.

وهنا أخرج جلال الموبايل الخاص به لكى يتأكـد ممـا تقولـه سابرينا ولكننى رمقته بنظرة حادة ألا يتصل، حتى لا يتم تسجيل رقم الموبايل، فيستدعوه للمساءلة ويُدان.

فرغم صحة ما تقوله هذه السيدة إلا أننى شككت فيها، فقد تكون هذه حيلة منها لتعرف رقم الموبايل وبالتالى يتم القبض علينا جميعاً، ونُساق للمحاكم هنا ونُصنّف إرهابيين وخاصة أنا، فأنا أدخل أمريكا لأول مرة، وسائح وليس معى إقامة ولست أمريكيا ووافد من الشرق.

لاح هذا فى ذهنى بسرعة كشريط خاطف برق أمام عينىّ فى ثوان...

سلفانا وأرماندو اللذان قضيت معهما يوماً شاقاً حين أخذانى من بنسلفانيا متجهين بى لنيويورك ليأخذوا لى صوراً فوتوغرافية فى الأماكن الشهيرة عندهم، ولقد أرهقونى تصويراً... هل هؤلاء أيضاً مجانين؟

وهنا سألت سابرينا: هل تعرفين سلفانا وأرماندو؟

قالت سابرينا: نعم فهما أقارب زوجى، ودائما يتحدث معهم ويخبرهم أن يتحركوا بعربتهم من نيويورك لتصوير بعض أصدقائه من النجوم الذين اشتركوا معه فى أفلامه من قبل، ويرسلون له الصور...

وهنا لفنى الصمت المدوّى الذى أخرسنى ولا تعليق... سوى أننى فقدت كل شيء الآن... الآن اكتملت الصورة واتضحت الرؤية كاملة... الموقف الذى ساقنى له القدر يفوق أى خيال...

وهنا فوضت أمرى لله... فأعدت له نقوده كصديق اختل عقله وأرثى الآن لحاله.

فهاهى الحرب وقد دمّرت حلمى وأعز أصدقائى من المخرجين النوابغ...

مددت يدى فى جيب جلال ساحباً الـــ عشرة آلاف دولار وكذلك العشرة الأخرى من جيب حسين ثم دولاراتى التى أخذتها كاملـــة دون نقصان دولار واحد، واستسمحت سابرينا أن تعطينى حقيبتها... فقدمت لى حقيبتها فى أدب شديد ومودة وقالت: تفضّل...

فقلت لها: هذه هى النقود التى سحبتها من رصيده، أعيدها لـــك دون أخذ دولار واحد ونحن لسنا بلصوص، ولكن الظلم هو الذى دفعنا لذلك...

شكوكى الآن زالت تماما عندما اكتشفنا الحقيقة... وكم أتمنى له الشفاء العاجل...

ولأننى أحبه تقدمت منه علّه يعرفنى، ولكنه ظل يرمقنى بنظراته وهو يقول لى: إنى أتذكرك ولكن لا أعرف هل أنت الذى أخرجت له أفلاما من قبل أم أنه يشبهك...

الرجل فقد عقله فلا تركيز...

وهنا داعبته سائلا... هل تعرف سلفانا وأرماندو.

وهنا صاح فى صوت متقطع مثل صوت ديك مذبوح: سلفانا هى مساعدتى فى الفيلم وأرماندو هو الطفل الذى سيمثل أمام محيى الـــذى سافر للقاهرة منذ يومين، ولكن سأستدعيه فى الصـــيف القـــادم لنبـــدأ التصوير...

ثم نظر لسابرينا وقال لها خذى عناوينهم لأستعين بهم فى فيلمى القادم وهو عن السلام...

فرّت دموعى طافقة من عينى وأنا أحتضنه فى حب فالرجل تآكل وعلى وشك الخروج من الحياة... كل شيء فيه قد ذبل... والبخّاخة لا تفارق فمه فهو يعانى أيضا من اختناق فى التنفس...

تركته وأنا أرثى لحالى متجهاً لسابرينا وأنا مازلت مغيّراً صوتى دون أن أزيح طاقيتى السوداء عن وجهى:

– سابرينا... أرجوكى عندما يتحدث زوجك المسكين فى التليفون بعد ذلك... أن تمنعيه من الحديث عن السينما بالذات لأنه بأحاديثه وتليفوناته التى لا يشك فيها أحد تقع الكارثة... فراقبيه وامنعيه...

– أنت على حق فهناك فنان كان يُصوّر معه فى أفلامه التى أخرجها له قبل إصابته فى الحرب وقد أتى هذا الفنان إلى أمريكا بالفعل وقد وعده أنه سيُصوّر له فيلماً... وأنا سوف أتصل بهذا الفنان الوافد من الشرق وهو يحفظ تليفونه جيداً فكثيراً ما كان يُحدثه وأنا أسمعه... أعدك أننى سوف أخبره بالحقيقة التى أنت أيضا لا تعرفها وهو أن زوجى أصبح مصاباً بانفصام فى الشخصية فيقول الشيء ونقيضه فى آن واحد... وهو يُعالج منذ عام ١٩٩٥.

وهنا سألتها بحزم:

– ولماذا لا تُعلنين للآخرين أن زوجك مصاب بانفصام فى الشخصية؟

– لم أتأكد من ذلك إلاّ منذ عام بعد إجراء بحوث وكشوفات وتأملات كثيرة عليه، أخيراً حسم الطب حالته فاعذورنى.

- إن عدم التصريح بحالة زوجك تسبب فى قتل آخرين تماما مثل غبار اليورانيوم... لأن خجلك والسكوت على تصرفات زوجك معناه تأكيد كذبه على الآخرين وبالتالى يصدقونه فيأخذون موقفاً إيجابياً ويأتون بالفعل حتى هنا، والدليل على ذلك ما تؤكدينه لى، محيى وما حدث له...
- سوف أنفذ ما تقول ولن أجعله بعد اليوم يتحدث مع أحد، خاصة فى السينما عالمه الذى فقده.

ثم سألتنى السؤال الأخير:

- هل تسمحون لى بسؤال...
- من أنتم... أنتم الثلاثة لا أصدق أنكم قتلة أو لصوص فمشاعركم العادلة الآن تدل على طيبتكم وأصالتكم وعواطفكم الجميلة التى يفتقدها الكثيرون... فخبرونى من أنت، ثم من أنتم؟

إن البروفوسير دراكوفيتش مدير مركز الطبى لأبحاث اليورانيوم فى واشنطن قال إن الكثيرين الذين لقوا حتفهم أو أصيبوا بأمراض السرطان وسرطان الدم والكبد فى العراق بفعل استنشاقهم لغبار اليورانيوم. وإن الجينات الوراثية للإنسان العراقى بدأت تتغيّر حيث يولد الآلاف مشوهين وتبدو أشكالهم غريبة وإن ذلك سوف يستمر لخمسة أجيال على الأقل... وإن تأثيرات اليورانيوم سوف تستمر لملايين السنين لتُحدث آثارها الخطيرة على حياة الإنسان وصحته...

ولكى أزيدكم معرفة فإن البروفوسير دودج روكه الرئيس السابق لمشروع اليورانيوم فى وزارة الدفاع الأمريكية قد أكّد وفاة (١٥ ألف أمريكى من بين ٢٠٠ ألف جندى أمريكى شاركوا فى حرب الخليج

وظهرت عليهم الأعراض وأن هناك حوال ٨٠ ألف جندى يعـالجون من المرض الآن فى الولايات المتحدة...)، إن هـذه حقـائق علميـة وتاريخية ووثائقية. إسمحوا لى أن أستضيفكم فى بيتنا لكـى نواصـل الحديث.

إن البشرية تسقط الآن إلى أعلى... وعلينا جميعـا كشـعوب أن تعلو أصواتنا منادين بالحب لا بالحرب حتى تسترد البشرية إنسانيتها، لأن قوة الحب أقوى من حب القوة.

بكت سابرينا فودعتها وأخذت بيد زوجها وصديقى ويـل حتـى أدخلتهما عربتهما وهما يودعانى وأنا أبكى، لا على نفسى فقـط ومـا حدث لى ولكن على مستقبل الإنسان وسقوطه... وقد نسى أن الـدين هو فى المعاملة الإنسانية...

خلعنا طواقينا السوداء التى تلثمنا بها وقـد أخَـذْتُ مسدسـيهما وألقيت بالمسدسات الثلاثة فى البحيرة من المكان الذى نحن فيه وكنت أرى دائما أنه لا يجب أن يُستخدم السلاح إلا من أجل الدفاع عن حق مشروع سُلب من آخر بالقوة وأن التهديد بنفس السلاح قد يعيـد لـك حقك، لكن إذا توصّلت بالمنطق مع الآخر إلى الطرق السـلمية فـى استرداد حقك فيجب ألا تضغط على الزناد.

أعاد حسين وضع لوحته المعدنية بنمر عربته التى كان قد خلعها وثبتها جيداً وركبت عربة حسين وأنا أعتذر لهما عمّـا حـدث وأنـا شاحب مريض ولكنى متحامل على نفسى حتى أوصلانى للموتيل الذى أسكن فيه... ودّعتهم على أمل لقاء فى القريب العاجل سواء فى مصر

أو فى أمريكا. والذين لا يعلمونه هو أن المسدسات الثلاثة كانت مسدسات صوتية ومحشوة طلقات فشنك وتشبه المسدسات الحقيقية شكلا ومضمونا.

لم أحتمل ولم أتحمّل شدة الصدمة التى حاولت إخفاءها عن جلال وحسين... ولكننى ما إن وصلت لسريرى فى الموتيل حتى استلقيت على ظهرى وأنا أبكى بصوتٍ عال والسرير يهتز من تحتى ونبضات قلبى تدق كالزلزال ولا أعرف ما الذى أصابنى... حاولت ترك السرير ولكن لم أقو فاحتميت به وامتدت يدى لشريط دواء، أخذت حبتين منوّمتين، وبعد ساعة نمت ولم أصحُ إلا بعد يوم، بالليل، فى ليلة أضاء فيها القمر الذى ظل غائبا عن سماء كاليفورنيا لأيام عديدة وظللت ساهما شارداً أنظر فى ضوء القمر حتى أتى الصباح.

أعددت حقيبتى وأخذت الطائرة عائداً لبنسلفانيا، وما إن وصلت حتى حملونى إلى السرير فلقد كنت فى حالة تدعو للرثاء... كان هذا واضحا من التشنجات العصبية التى شهدتها شيرى فى وجهى... والانتفاخ الذى برز تحت جفون عينى... وتجاعيد وجهى الذى دققت فيها نهلة وهى تقول لى دون تمهيد (شيرى إطلقت)... نام وأوعى تتحرك كل حاجة حاتجيلك وأنت نايم... ثم قالت لى: هل هذا وجهك؟ انظر فى المرآة صار وجها آخر وأنت لم تمكث فى أمريكا سوى ثلاثة شهور وأسبوع... نَم ولا تستيقظ حتى تستعيد قواك الخائرة... رحت فى نوم عميق ولم أستيقظ إلا بعد يوم لقضاء حاجتى...

لم تكتمل فرحة قضاء حاجتى حتى فوجئت بشيرى وهى سعيدة ضاحكة تقول لى: الحمد لله تم طلاقى... وعادت لى روحى تماماً، ثم قالت فجأة: انظر لشاشة التليفزيون انظر... وكنت فى صراع بين النظر وقضاء حاجتى... وهى تشد ذراعى بإلحاح كى أتوقف لأنظر... ونظرت إلى التليفزيون... إنه المركز التجارى فى مانهاتن بنيويورك وهو يحترق... ومن هول ما رأيت، لم أجد أى أحاسيس أحسها الآن، فلقد استهلكت واستنفدت كل ما تبقى لدىَّ من إحساس لدرجة أن ردود فعلى شطبت من ذاكرتى تماما وكأن رأسى رأس كرنبة محشيَّة رز، ذلك لأن الـ ١٥٠٠٠ دولار التى أتيت بهم من القاهرة بددتهم جميعا ولم يتبق فى جيبى سوى ثمن تذكرة العودة ثم إن هذا المبلغ هو كل ما أمتلكه وليس عندى أى رصيد فى أى بنك... كما أننى لم أتعاقد على أى عمل منذ ٤ سنوات.

إن كلمة القوة قد تختلط على الكثيرين بكلمة العنف... خصوصاً وأن الاستعمال السياسى لهذه الكلمة قد جعل من الأنظمة السياسية القومية مجرد أنظمة إرهابية تقوم على العنف أو الطغيان... وأن كل ما يتم الحصول عليه بأساليب العنف لابد من أن يظل عديم القيمة... لأنه لن يكون إلا كسباً زائفاً قد تحقق على حساب حرية الآخرين...

وليس فى الإمكان لأى دولة أن تقوم لها قائمة إلا إذا وضعت حداً لعملية اللجوء إلى القوة بحيث يجىء القانون فيكفل للضعفاء والأقوياء على السواء الإحساس بالأمن...

وحينما لا يشعر الضعفاء بأى طمأنينة أو أمن فإن الأقوياء أنفسهم لن يلبثوا أن يجدوا أنفسهم مهددين.

لقد استطاع غاندى هذا الفقير الهندى النحيف العارى أن يثبت للعالم أجمع أن مبدأ عدم اللجوء إلى استعمال العنف هو مبدأ قوة لا مبدأ ضعف ولهذا فقد كان يقول (إنه حين لا يكون أمام الإنسان أن يختار سوى واحد من أمرين الجبن أو العنف فإننى لن أتردد فى نصحه باختيار العنف)... معنى هذا أن غاندى حين دعا إلى تجنب استخدام العنف فإنه لم يكن يعنى بذلك الخضوع لقانون الأقوى وإنما كان يشيد بقدرة الإنسان الإرادية الواعية على قمع رغبته فى الانتقام... إن العدالة بدون القوة عاجزة... والقوة بدون العدالة طاغية... فلابد إذن من وضع العدالة والقوة جنباً إلى جنب بحيث نعمل على جعل العادل قوياً وجعل القوى عادلاً...

عشرة أيام قضيتها ساهماً شارداً جالساً على كرسى أمام المنزل الذى أقيم فيه ببنسلفانيا لا أفعل شيئاً سوى أن أقوم للأكل ثم أعود لأجلس... أتوجه لدورة المياه ثم أعود لأجلس... وعندما يحل الليل أقوم لأمشى بالساعات ثم أعود أنتظر مشرق الشمس... وساعدنى على ذلك الحبوب المهدئة فلقد لجأت إليها لأن عقلى لم يعد يحتمل التفكير...

كان علىَّ أن أخرج من حالتى هذه وأقوّى نفسى كى أتماسك لأعود لبلدى ولكن شغلنى التفكير فى وضع أمريكا ومركزها التجارى هذا مفكراً فى آلاف القتلى والجرحى متسائلاً بينى وبين نفسى ماذا جنى هؤلاء الأبرياء المدنيون خصوصاً أن العاملين بمركز التجارة العالمى بنيويورك وزواره من جنسيات مختلفة... كارثة بكل

المقاييس... ذعر يجتاح أسواق المال العالمية... فنيويورك هى القلب النابض لحركة المال فى العالم وبالتالى ستتأثر وبشدة البورصات الأمريكية... والبورصات العالمية الكبرى لأنها شديدة الارتباط ببورصات أمريكا... وسوف ترتفع أسعار الذهب والبترول كبديل للأسهم والدولار... ثم الاضطراب الذى سيسود المجتمع الدولى وإغلاق الولايات المتحدة حدودها ومطاراتها ومئات الرحلات التى ألغيت والمسافرين وما سيصيبهم من تعطيل أعمالهم ووقف نشاطهم.

إن خالق الدنيا وخالق الإنسان يهتم بكل الناس... وإذا كانت علاقتنا بالخالق جميلة فهو يكون جميلاً ويرى الناس فيه الجمال ويرى هو الوجود جميلاً...

خرجت من ثقل هذه الأيام العشرة المميتة مرتدياً ملابسى... وجذبت حقيبتى الكبيرة والهاندباج... وتأكدت من تذكرة السفر والباسبور... ومن نبضى ودقات قلبى وأننى مازلت على قيد الحياة واتصلت بأحد الأصدقاء فى ولاية نيوجيرسى لكى ينقلنى بعربته من ولاية بنسلفانيا للمطار فى نيويورك وكم كنت أريد حضور الاحتفال برأس السنة وعيد العفاريت (Hallowien) فى أكتوبر ولكن شعوراً بالكآبة قد احتوانى...

وَدَّعْتُ الأحبة الذين احتضنونى وقد استعدت بعضاً من لياقتى... وفوضت أمرى إلى الله وركبت الطائرة... وقد امتدت يدى داخل حقيبتى الهاندباج لتخرج بعض الأوراق وقد ارتفعت الطائرة على علو ٢٢٥ ألف قدم من سطح الأرض.

كانت الطائرة تطير تمخر فى عباب السماء بصوت مفزع وكأننى أركب طائرة حربية ستدخل فى قتال بعد لحظات... سرحت فى شرود متأملا ما وصلت إليه الحياة وعيناى تدمعان... وأنا أحاور نفسى فـــى صمت واستغراق...

الإنسان هو أعقل مخلوق أعطانا الله فلمـــاذا هـــذا النقصـــان... صدّقونى أن هذه أطول رحلة فى العالم، ثقيلة على نفسى ثِقْلاً ما بعده ثِقْل... فلقد رأيت وأحسست مشاعر لم أعرفها من قبل مدوّيـــة مثـــل الحمم... وكثيرا ما كنت أتأمل مطربنا الراحل العظيم عبد الحليم حافظ وأتعجب كيف يعبّر عن كلمات الأغانى هذه التى يغنيها وكيف يحسها وكيف يوصّلها لنا، ذلك لأنها خصوصيته هو... إنها تجربته هو فقـــط التى تفردّ بها، لذلك تفرد بهذا الحس هو فقط... لقد اكتشفت فى رحلتى المجهولة والمهولة هذه أحاسيس لم أدركها من قبل فى هذه الرحلة غير المسبوقة فى الحس البشرى، رحلة تفوق ما كنت أحلم به فى كاليفورنيا من مجد لم يتحقق، إن أعظم حرب الآن هى تحرير النفس من الداخل.

ولو المشاعر طغت عليك
سرسبها أحسن من بين إيديك
واخلص
لتخلّص عليك
هكذا كانت كلماتى الأخيرة مع نفسى.
وأنه إذا هرمت خلايا جسمك
فيجب أن تكون روحك قوية.

هدّنى التعب والشرود وتداخل الأفكار فى الأفكار وتلاصـــقها... خارت قواى تماماً فسقطت نائماً دون أن أعى أننى فقدت السيطرة على نفسى وعقلى.

وفى مطار القاهرة الدولى كان فى انتظـــارى أخـــى الأصـــغر الباشمهندس محمد فخرى... الذى أخذنى وأنا نائم مع شنطتى وبسنى فى عربته وعند وصولى منزل أختى الصغيرة أيقظنى... وكان لقائى بأختى وابنها أحمد وابنتها القطقوطة الشقية دعاء... لقاءً ممتعاً رغـــم الإجهاد الشديد الذى حل بى وحالة الشرود التى تبرق من عينىّ، وفجأة وجدونى أسقط نائماً، تسحّبت إلى غرفة النوم وامتطيت السرير يومـــاً كاملاً... وما إن استيقظت حتى بدأت أحكى لهم هذه المغامرة المميـــزة والتى سلبت من عمرى ٤ شهور...

فتحوا لى الشبابيك فنظرت... كانت السماء صـــافية... الشـــمس مشرقة... فصلّيت شكراً لله على عودتى سالماً لبلدى الحبيبـــة مصـــر بينما صفعتنى دعاء بحكمة أعادتنى لصوابى (الحكيم يا خالو مـــن لا يحزن لحرمان وينعم بما ملك).

تم بحمد الله

محيى إسماعيل

شخصيات الرواية

محيى إسماعيل: فنان ونجم سينمائى مثقف يحمل الجنسية المصرية.

نهلة البردينى: سيدة مصرية جميلة... هانم... لا تعمل... لكنها ست بيت رائعة تعيش فى أمريكا منذ ١٥ عاماً.

شـــيري: ابنة نهلة البردينى رائعة الجمال مثقفة متحضرة ومتزوجة وتعيش فى أمريكا... تعمل فى الكمبيوتر.

مهـــران: فتى من كشمير يحمل الجنسية الأمريكية وزوج شـــيري ويعمـــل فـــى الاقتصاد.

ويل ريموند: مخرج مصرى مهاجر يعيش فى أمريكا منـــذ ١٥ عامـــا ويحمـــل الجنسية الأمريكية.

سابرينا: سيدة أمريكية وزوجة ويل ريموند.

حسام الرويعى: مهندس الكترونيات مصرى يعيش فى أمريكا منذ سنين.

سلـڤـــانـــا: مصرية أمريكية وهى قريبة المخرج ويل ريموند.

أورمـــانـــدو: طفل مصرى جميل مولود فى أمريكا ويعيش فيها ويهوى التمثيل.

محسن حسان: شاب مصرى يمتلك مطعم فى أمريكا ويعيش فيها منـــذ ١٥ عامـــا ويحمل الجنسية الأمريكية.

چـــورچـــيت: امرأة يونانية عاشقة.

روزيتـــــا: فتاة أمريكية رائعة الجمال.

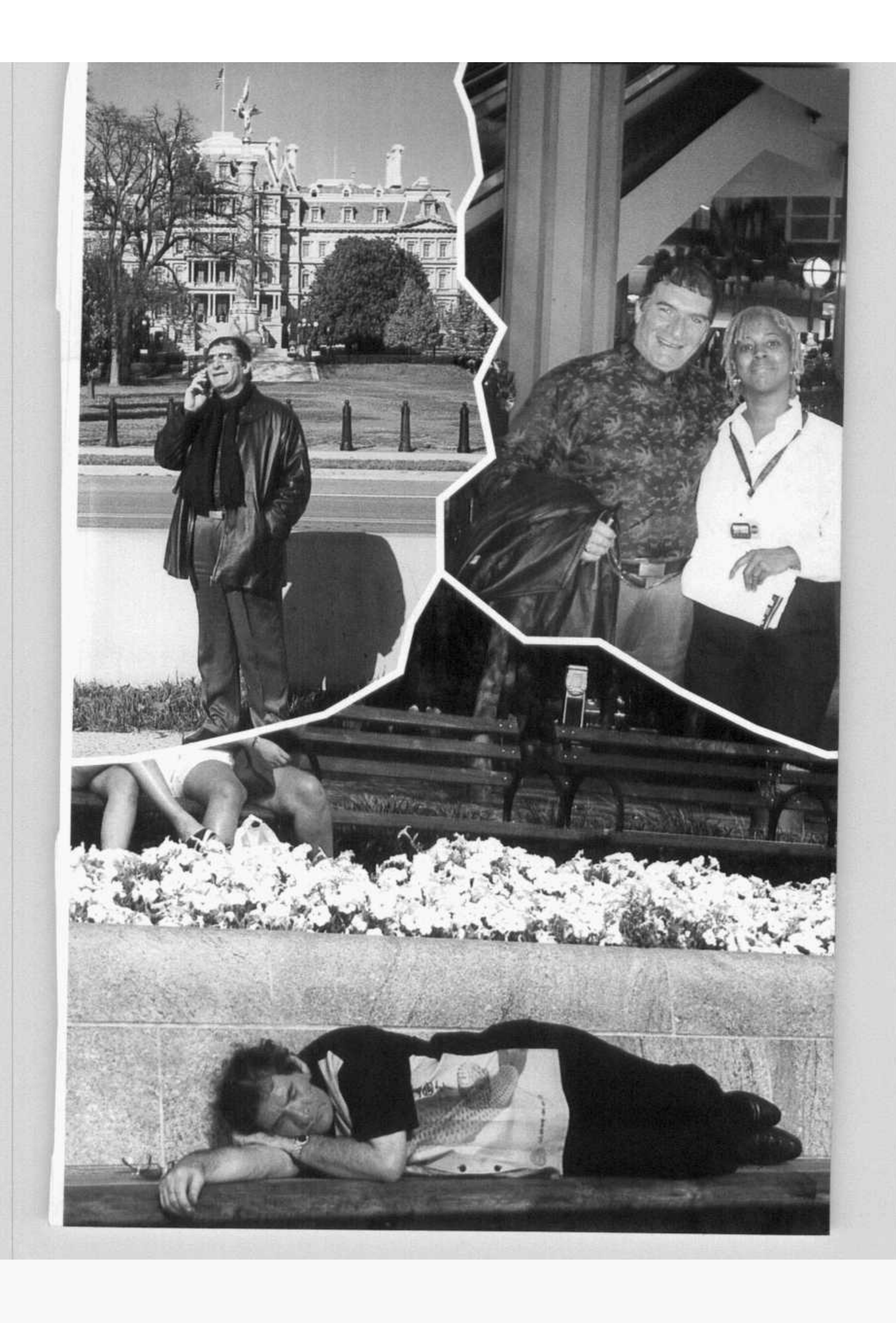
جـــــــلال: عامل مصرى يعمل فى أمريكا منذ عشـــر ســـنوات فـــى إحـــدى الرستورانات.

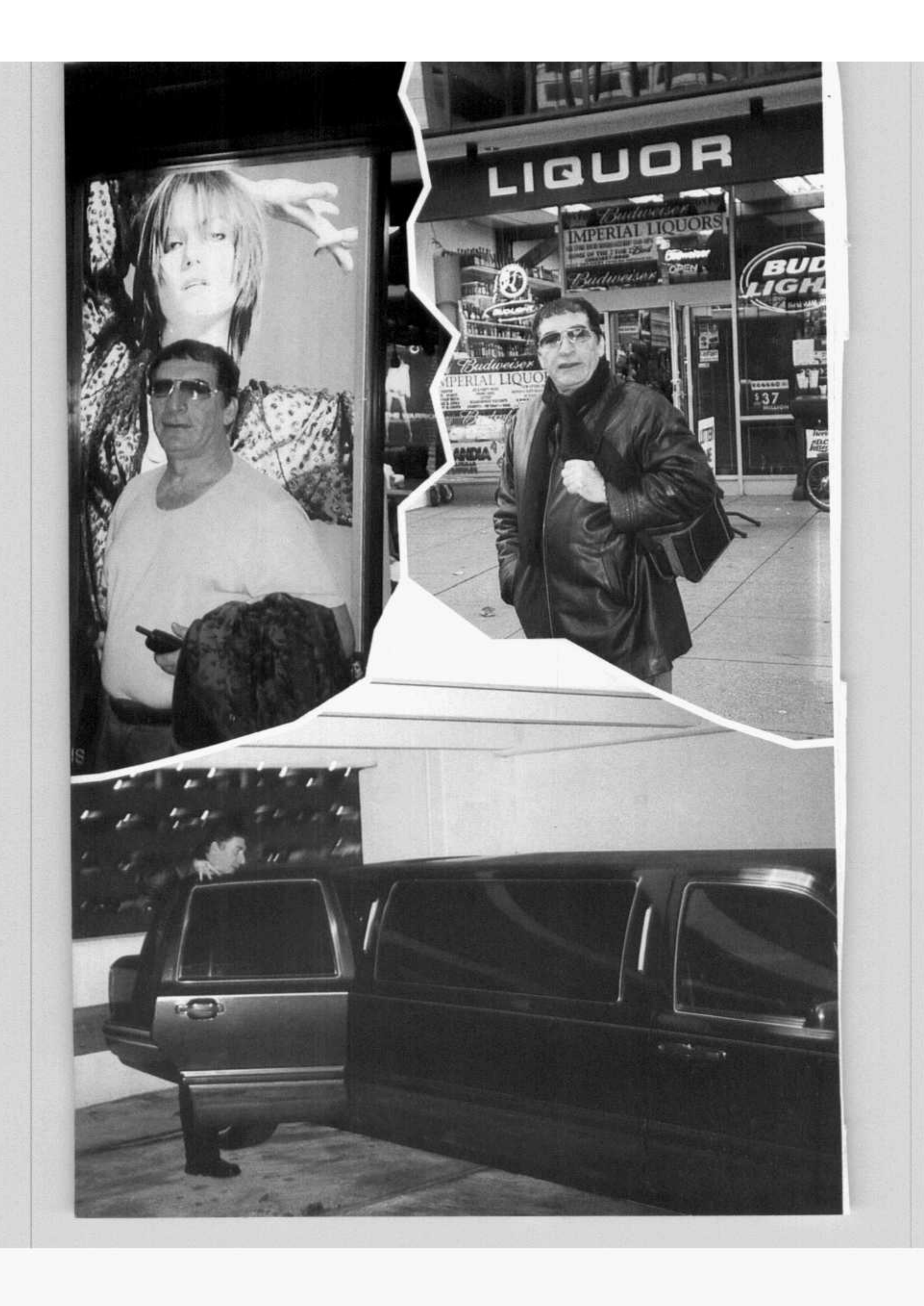
حـــســـــين: عامل مصرى يعمل فى أمريكا منذ عشر سنوات ويعمل فى نفـــس الرستوران الذى يعمل فيه جلال.

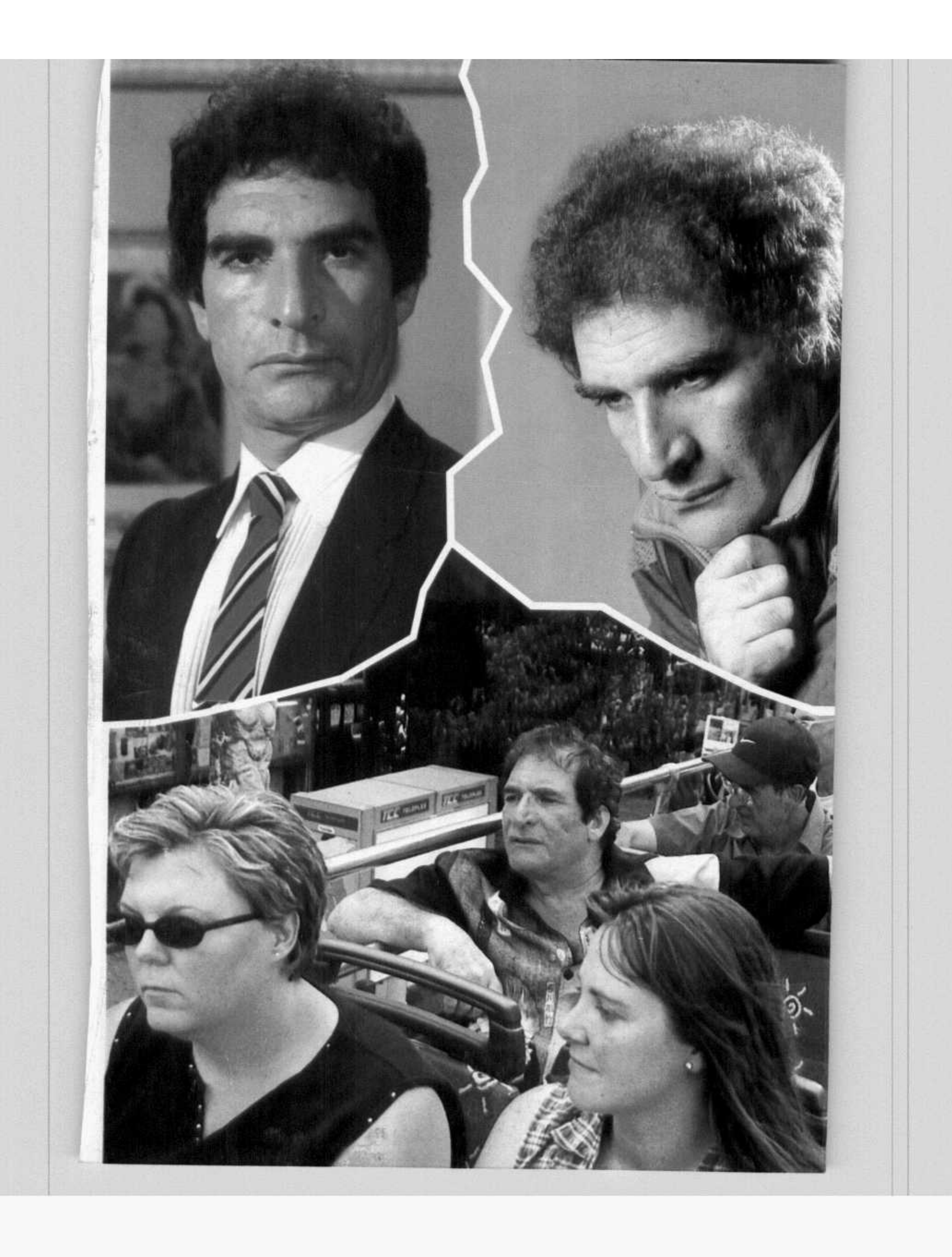
مـــاريـــانا: شابة يونانية.

لورانـــزو: شاب يونانى.

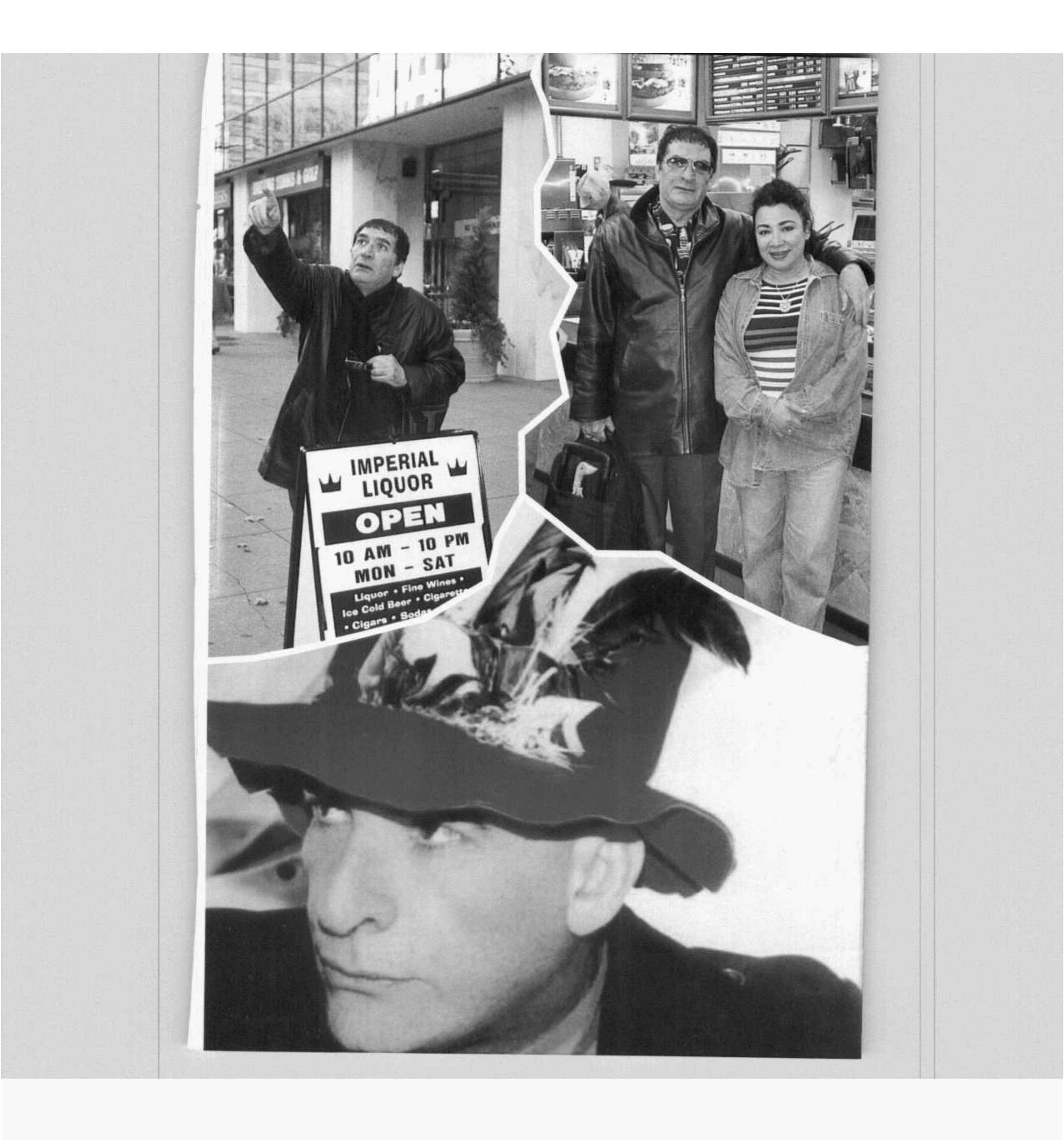
ألبوم الصور

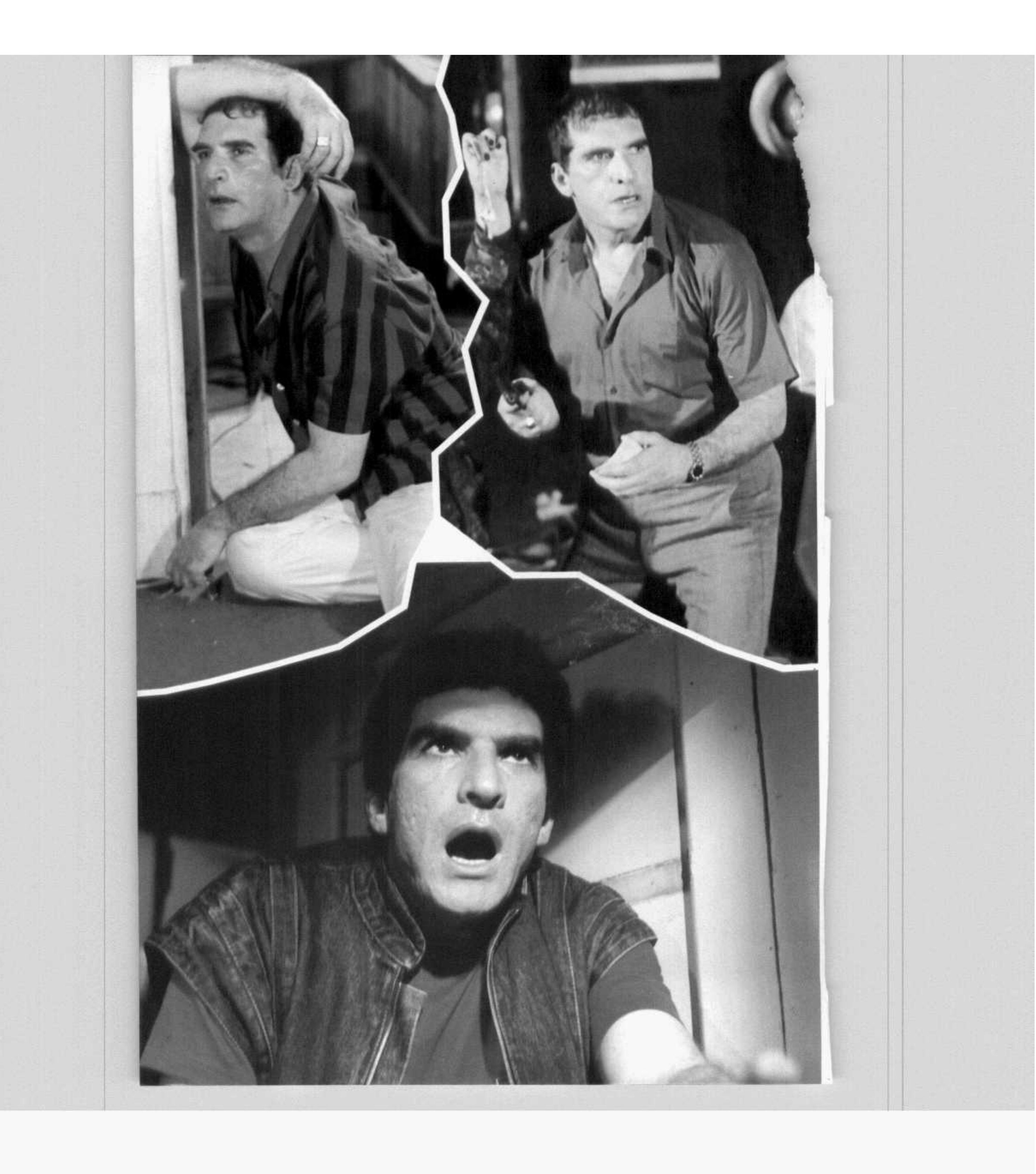


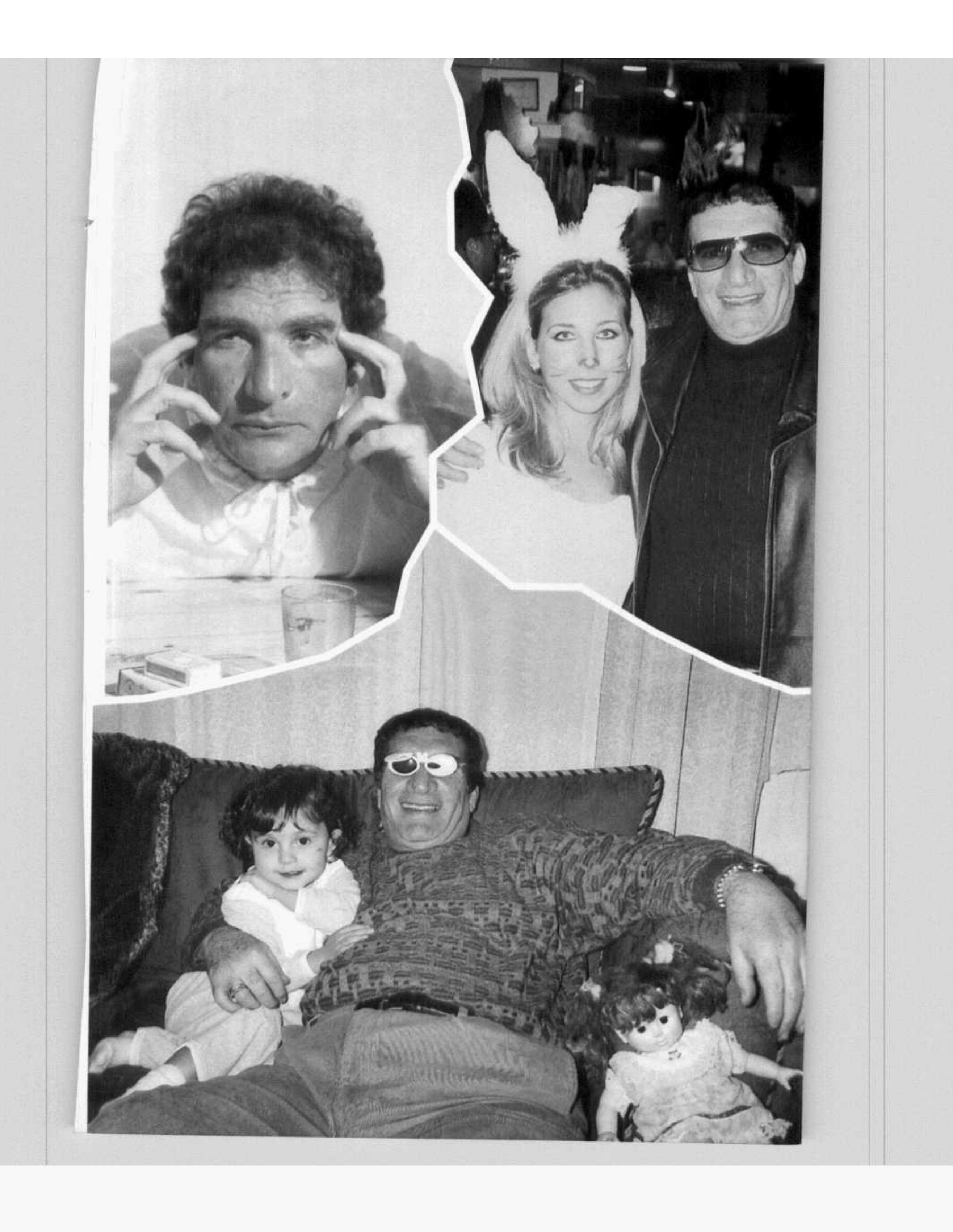

LIQUOR
Budweiser
IMPERIAL LIQUORS
Budweiser
OPEN
BUD
$37

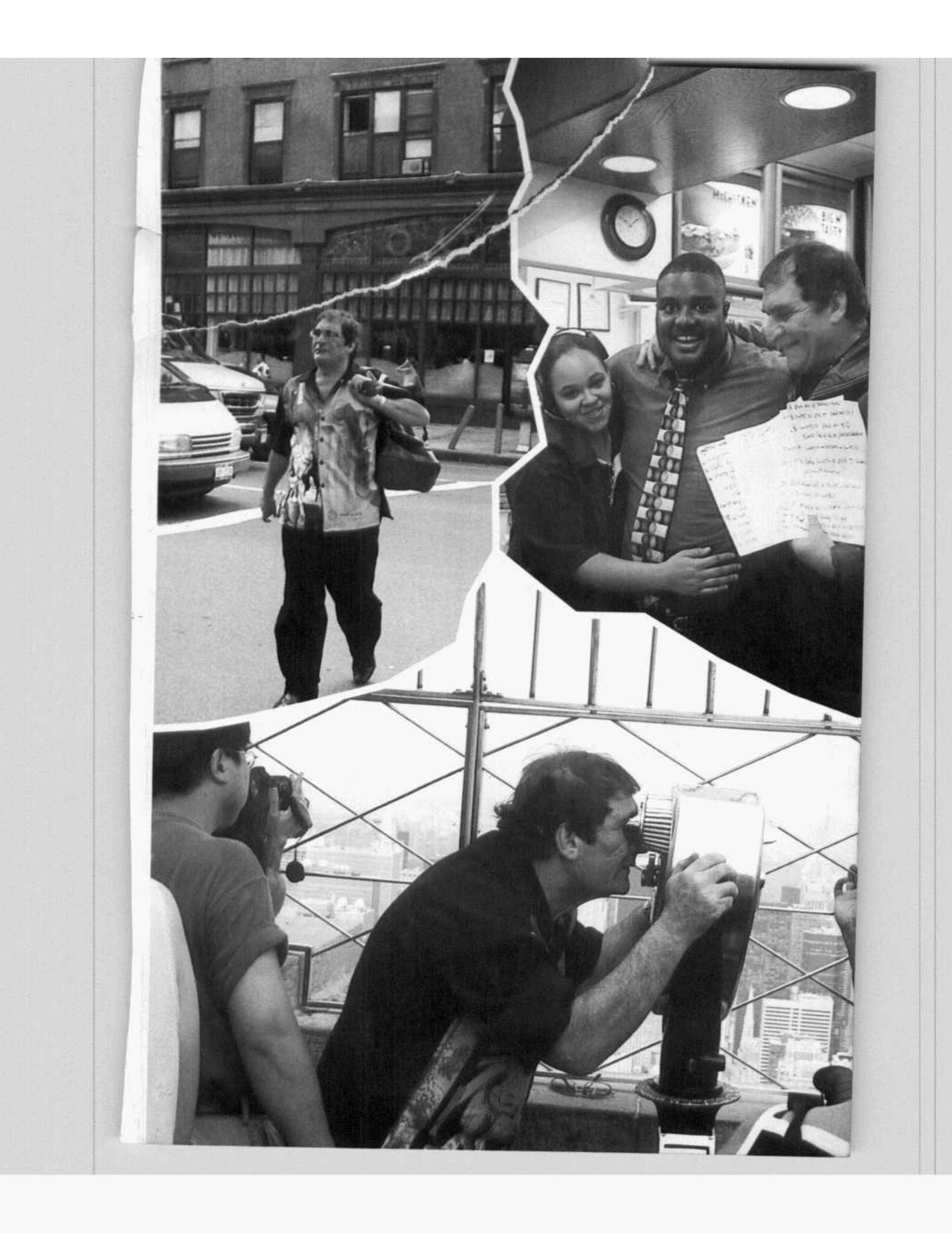


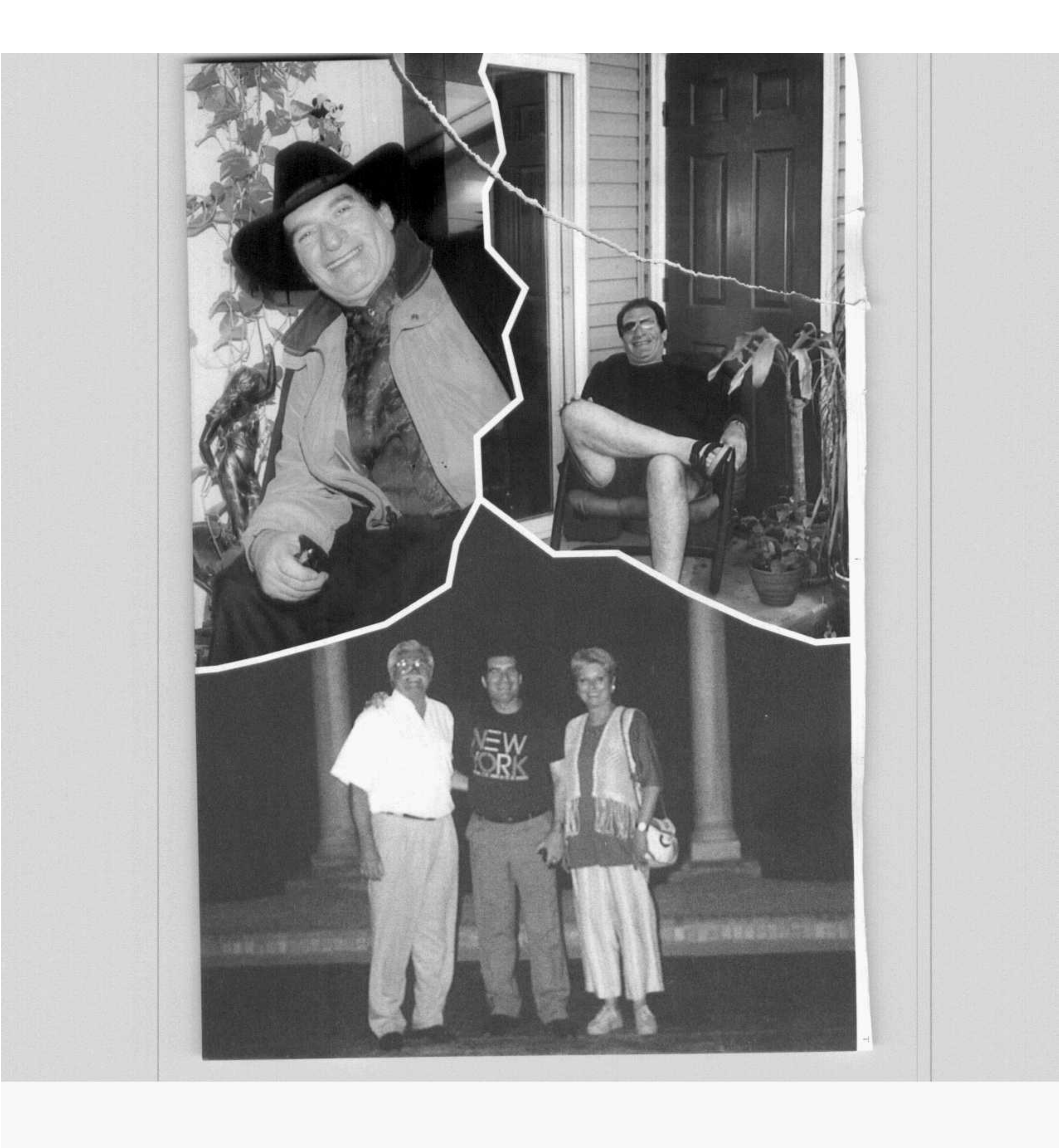


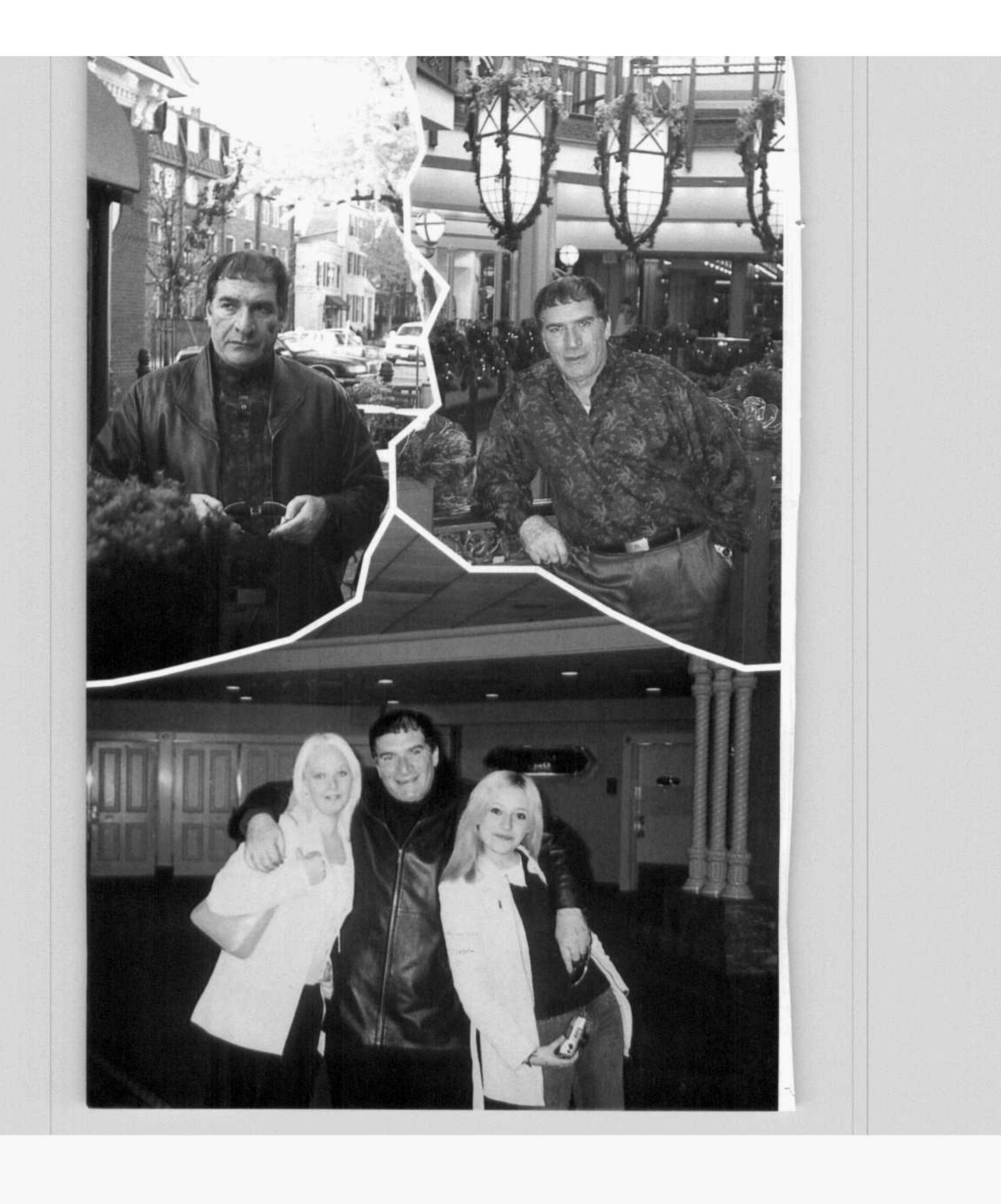

IMPERIAL
LIQUOR
OPEN
10 AM – 10 PM
MON – SAT
Liquor • Fine Wines •
Ice Cold Beer •
• Cigars •

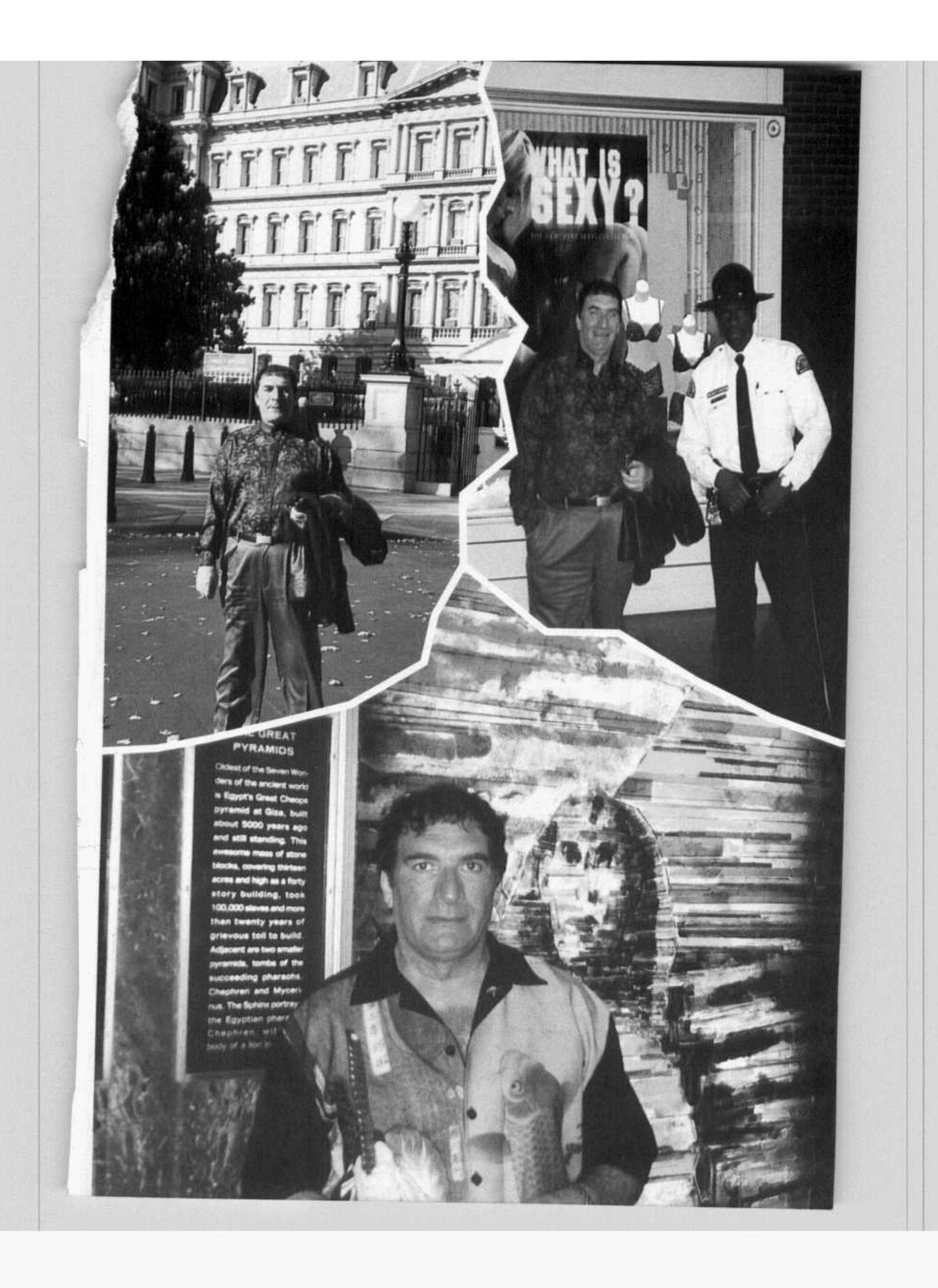


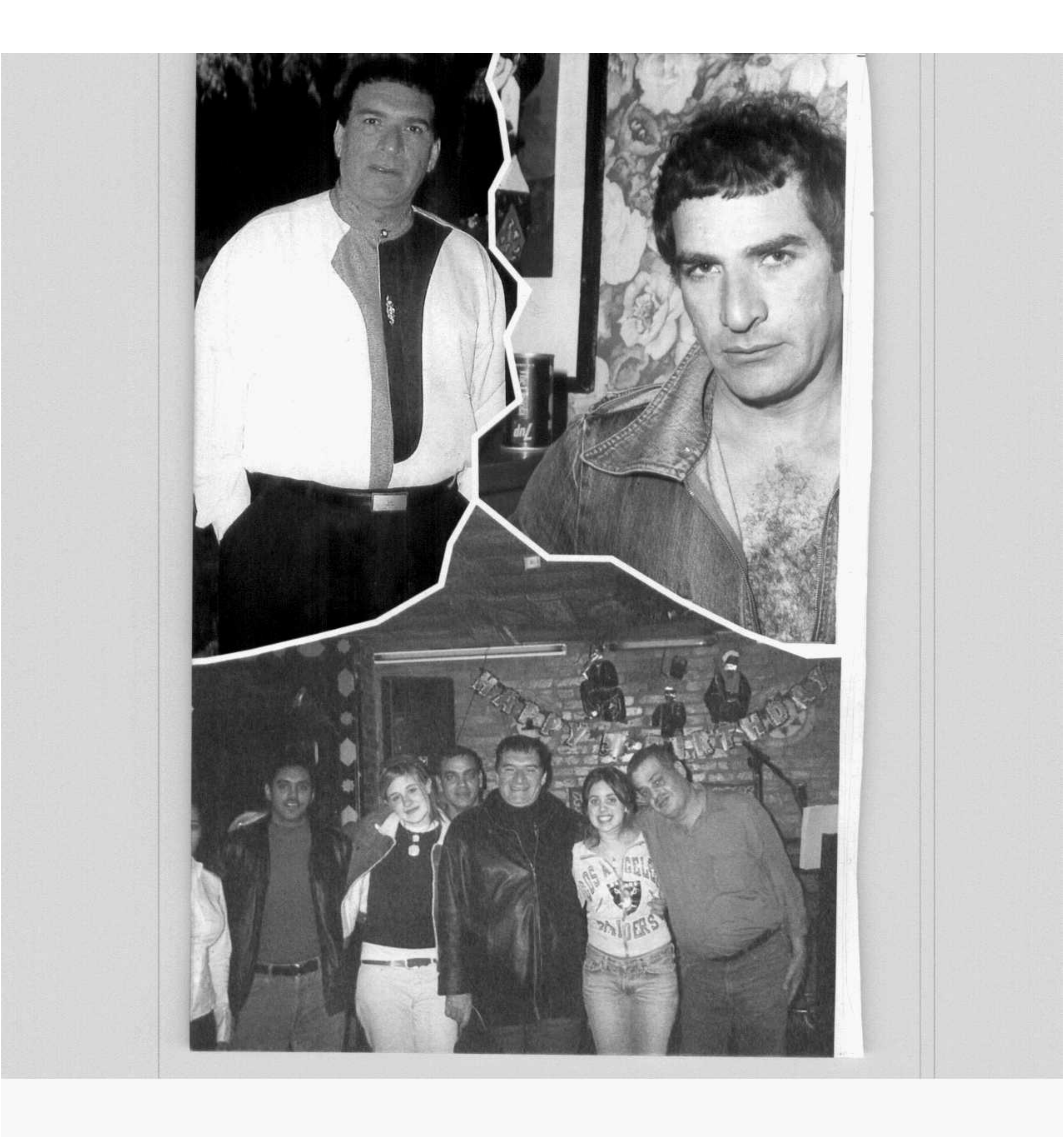


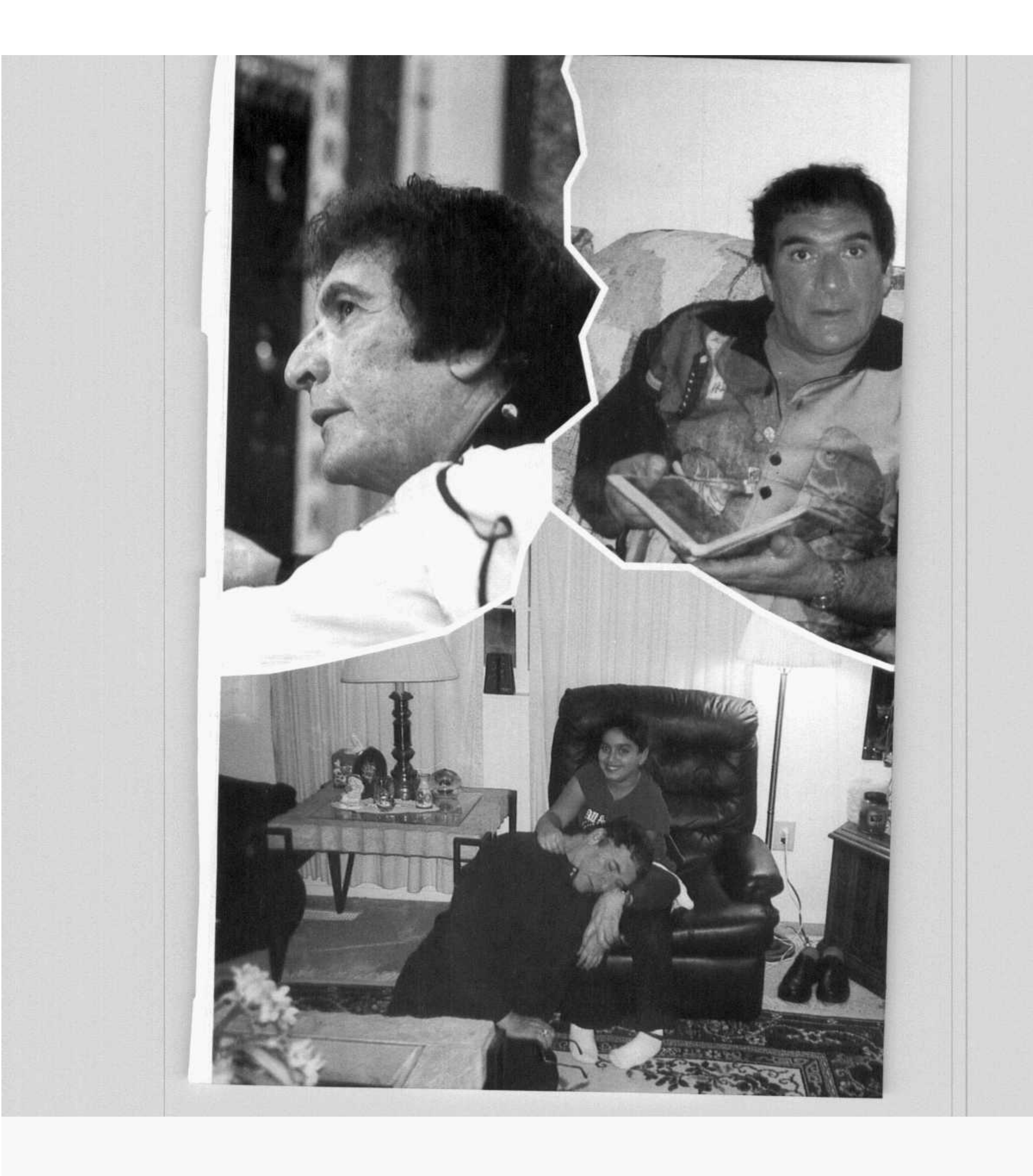


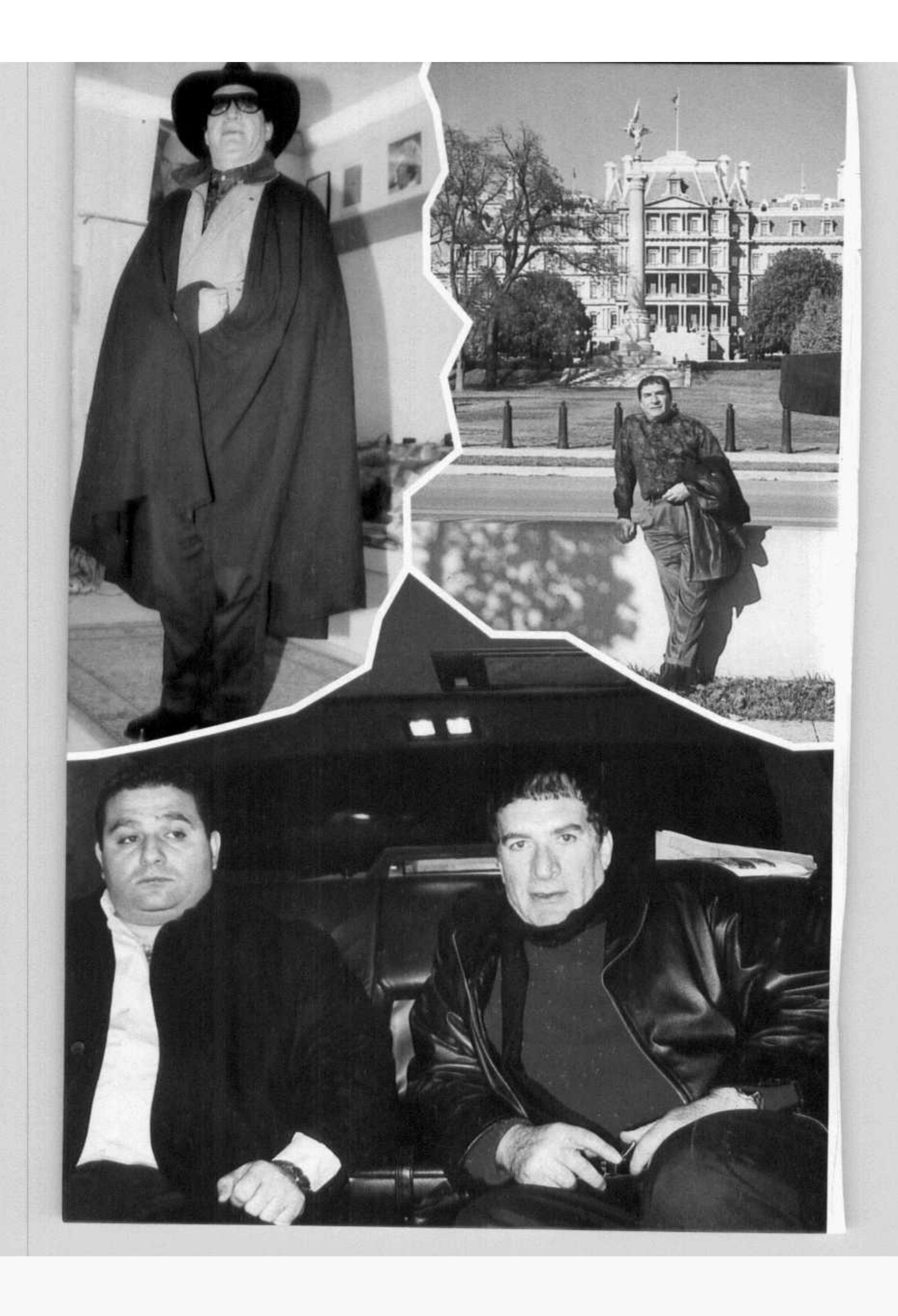

NEW
YORK

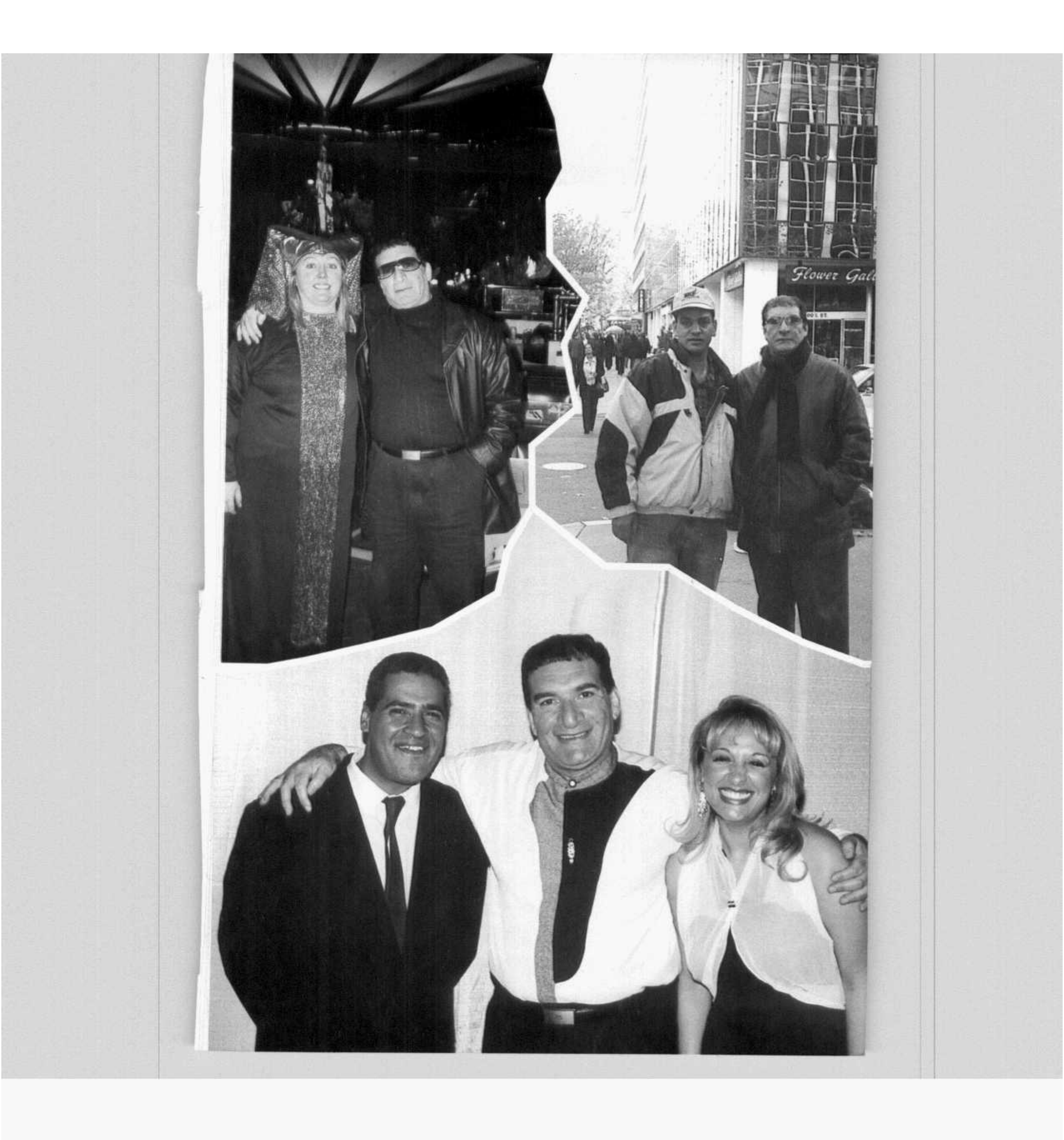



WHAT IS
SEXY?
GREAT
PYRAMIDS
Oldest of the Seven Won-
ders of the ancient world
is Egypt's Great Cheops
pyramid at Giza, built
about 5000 years ago
and still standing. This
awesome mass of stone
blocks, covering thirteen
acres and high as a forty
story building, took
100,000 slaves and more
than twenty years of
grievous toil to build.
Adjacent are two smaller
pyramids, tombs of the
succeeding pharaohs,
Chephren and Mycen-
nus. The Sphinx portray
the Egyptian phar
Chephren, wit
body of a lion in








Flower Gall